رواية

البالون

محمد عبدالمنعم بدر

البالون

(قصة كفاح)

محمد عبدالمنعم بدر

العنوان: البالون

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: محمد عبدالمنعم بدر (نبذة)

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2022

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2022

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

مقدمة

لا قيمة لحياة بلا إدراك ، لا قيمة لحياة بلا هدف لا قيمة لحياة بلا وعي ، بطل هذه الرواية شاب مصري يشبه كل شباب مصر ، عاش حياة عادية لم يكن بيده رفاهية اختيار أي شيء في حياته ، وعندما سيُطلب منه أن يختار، سيجد نفسه وسيعرف هدفه من هذه الحياة .

التميز بين الأخوة ينتهي بموت الآباء ولكن يبقي دائماً ذلك الإحساس الموجع الذي يخلف هناك جراح تنزف بالحقد والغل وشهوة العدالة والمساواة ولا علاج لها بعد فوات الأوان .

خطيئة الآباء الكبرى تكمن في عملية تقييم الأبناء فكلنا نري أبنائنا ملائكة وعباقرة وننسي بأنهم في النهاية بشر كسالي وأغبياء في كثير من الأحيان .

في هذه الرواية بعض الحوادث حقيقية كاحتراق البالون في الأقصر ولكن المعالجة الروائية لهذه الحادثة مختلفة كثيراً عن الواقع وهذه الرواية تخليداً لهذه الذكري .

م/ محمد عبدالمنعم بدر

٢٠٢١ م

(١)

فى بيت الأوسطي فريد

استيقظ كل من فى البيت منذ الفجر ، واندفع الأب يُسكت المنبه ودقاته المتتابعة طوال فترة الإجازة الصيفية التي يتمتع بها ثلاث بنات وهذا الابن الوحيد الذي ظل نائماً بعمق ، اضطر الأب لسحب عشرات الجنيهات من دفتر التوفير وهو حزيناً أسفاً على هذه النقود التي سوف تُنفق على يوم واحد فقط ،كان الجميع مشغولين بالتجهيز للذهاب إلي المصيف فى الإسكندرية كما تعودوا كل عام ، أمرت الأم البنات ألا يصدروا أي صوت حتي لا يوقظوا سامح .

بالرغم من حرص الأم أن لا يُوقظ أحد سامح ، إلا أنها اضطرت فى النهاية لإيقاظه بعد أن أعدت له طعام الإفطار المخصص له .

جلست الأم بجوار سامح تنظر إليه بعطف حتي انتهي من طعام الإفطار ، وتنتظر أن يطلب أي طلب حتى تقوم بتنفيذ هذا الطلب . بينما أعدت أحلام أخت سامح مائدة عليها الفول والبيض والجبن وجلسن مع الأب لتناول الفطور .

أمر الأب بناته أن يأكلن فى هدوء ، وعندما انتهين أمرهن بأن ترفعن الأطباق بهدوء كي لا يستيقظ سامح ، ردت الشقيقة الصغري عبير : أمي قد أيقظته وتُطعمه الآن .

الأب : يجب أن نراعي مشاعر أخوكم ولا تحاول إحداكن مضايقته إنه ينتظر نتيجة الشهادة الإعدادية ، وإن شاء الله سيكون من الأوائل .

أحلام : لكنه دائماً كسلان ولم يبذل أي مجهود .

الأب : كسلان وذكي وليس غبي مثلكن .

سارة : وما الدليل على ذكاؤه ؟

الأب صارخاً : هو أكبر منك ويجب أن تتحدثي عنه بأدب أكثر .

أحلام : سوف نذهب لحمل الحقائب ووضعها فى السيارة .

الأب : ولا تنسي أن تحملي حقيبة أخوكي .

سارة : ولماذا لا يحملها هو ؟

الأب : أنت يا سارة سوف تبقين هنا فى البيت حتي نذهب إلي الاسكندرية ونعود .

تبدأ سارة فى البكاء وتقول : لا أنا سوف أحمل حقيبة سامح بنفسي .

الأب : لقد اتخذت القرار .

تخرج الأم من غرفة سامح يتبعها سامح بوجهه المتورد وجسده المترهل ، وعلى وجهه عبوس وغضب .

الأب : لماذا أنت عابس هكذا يا سامح ؟

سامح : لم أنام مدة كافية كم أكره المصيف ، هل يجب أن أذهب معكم؟

الأب : نحن نذهب إلي المصيف من أجلك أنت يا سامح .

لا يرد عليه ويدخل إلي الحمام ، تلاحظ الأم بكاء سارة .

الأم : لماذا تبكين أنت الأخرى ؟ هل تكرهين المصيف أنت أيضاً ؟

الأب : لقد قررت أنها لن تأتي معنا هذه السنة إلي المصيف .

الأم : لماذا ؟

الأب : هي تعرف ماذا قالت ؟ ولن اتراجع عن قرار اتخذته .

الأم : ولكننا لا نستطيع أن نتركها فى المنزل وحدها هي ما زالت صغيرة جداً .

الأب : نتركها إذن عند خالتها .

تبكي سارة وتسرع نحو غرفة سامح وتحمل حقيبته التي مازالت مفتوحة وتجري بها لتضعها فى السيارة وتقع بعض الملابس منها على الأرض ، مما يزيد من غضب الأم أيضاً ، وتقرر أنها سوف تتركها عند خالتها التي انتقلت للعيش بجوارهم من سنتان بعد زلزال ٩٢ ، وقرروا أنهم سوف يذهبون إلي الإسكندرية بدونها .

تذكر الأوسطي فريد حينما ولدت زوجته سامح ، هو لم يري طفل فى حياته فى جمال سامح ، كان موفور الصحة كامل الوزن جميل الوجه ،

عندما ولد سامح اعتبره الأوسطي فريد أخوه وكل عائلته فقد عاش الأوسطي فريد وحيداً بلا أخ أو أخت ، وقد ورث عن أبوه وشته لإصلاح السيارات .

وفقد أبوه وهو أكبر من سامح بخمس سنوات ولكنه عاني الكثير فى الورشة ، وممن عملوا مع والده فى الورشة فتعاموا معه بمكر ودهاء وحاولوا الاستيلاء على ورشته .

عاش الأوسطي فريد أيام صعبة وتعيسة ، لن يعيش سامح نفس الأيام الصعبة ولن يواجه المصائب التي واجهها فريد ، ولن يسمح لأحد أن يسيء إلي ابنه الوحيد وسوف يحميه من أخواته الذين يغارون منه بشدة .

تمني أن يكون لسامح أخ لكنه رُزق بأحلام ، كانت أحلام خيبة أمل بالنسبة لطموحه أن يصير له عِزْوَة ، ثم جاءت بعدها سارة ثم أنجب عبير.

لم يفهم لماذا كل هؤلاء البنات كانوا من حظه هو بالذات ، أبنائهم لن يحملوا أسمه ولن ينتسبوا إليه ، أبناء سامح فقط من سيجعلونه خالد لا يفارق هذه الأرض سيبقي اسم فريد محمد سند على الورشة وقد ينصفه الزمان ويكتب على عيادة .

قاطعت إنصاف زوجها : أمازلت تفكر فى سارة ؟

فريد : أنا أركز على الطريق فقط .

لم تفارق سارة عقل إنصاف ، وشعرت أنها أخطأت حين تركتها عند خالتها وذهبوا هم إلي المصيف ، إنه يوم واحد فى العام يأخذ فريد سيارة من أحد الزبائن ، ويغسلون هموم العام فى بحر الإسكندرية ، كانت ضحكات وابتسامات سارة ستملأ البحر وتمليء السيارة ، الجميع صامت ساهم . ولكن سارة أخطأت كيف تقارن نفسها بأخوها ، لا أحد مثل سامح .

كانت إنصاف الأخت الصغري لخمسة بنات ، كان أبوها يعاملهم كلهم بالعدل ولكن أمهم كانت دائماً تقول لهم : لماذا لم يرزقنا الله بولد ؟ أنا مستعدة لاستبدال أربعة منكن بولد .

وجاء الولد أخيراً ، سامح أول ولد فى هذه العائلة ، فلم ترزق أخوات إنصاف بأي ولد كل العائلة بنات ، سامح هو قرة عين عائلة إنصاف لا يمكن لسارة أن تغضبه وتقارن نفسها به .

إنصاف : سارة أخطأت ولابد أن تعامل أخوها أفضل من ذلك .

سامح : ماذا فعلت يا أمي ؟

إنصاف : لا تخشي شيئاً يا حبيب ماما ، لقد تركناها كي تتعلم الأدب .

أحلام : ولكنها لم تفعل ما يستحق .....

فريد : هل تتهميني بالظلم أيتها الجاحدة الحاقدة !!!

إنصاف : أخرسي يا أحلام ولا تتكلمي .

كانت أحلام تصغر سامح بعام واحد ، عام يفصلهم جميعاً عن بعضهم البعض ، فى هذا العام حلم فريد بأن يحصل على الابن الثاني والثالث ولكنه حصل على الابنة الثانية والثالثة ما باليد حيلة .

سيكون الكل فى خدمة سامح ، حامل اسم والده وجده .

مسكينة إنصاف قلبها يكاد ينخلع على سارة ، وبدأت تبكي بحرارة من أجلها لا تستطيع أن تتركها لن تكون سعيدة بدونها لن تكون أخوتها سعيدات بدونها .

سألت إنصاف سامح : هل تسامح أختك سارة ؟

سامح : ماذا فعلت يا أمي ؟

إنصاف : لقد أخطأت فى حقك .

سامح : نعم أسامحها ، وأريد أن ألعب معها ، إن أحلام لا تجيد اللعب وعبير صغيرة جداً .

فريد : هل أعود يا سامح كي أُحضر أختك لتذهب معنا ؟

سامح : طبعاً يا أبي .

منذ تركت إنصاف ابنتها عند أختها لم تتوقف سارة عن البكاء ، وعندما رأت أمها ارتمت على صدرها وأمسكت بها بادرتها الأم قائلة : لقد سامحك أخوكي .

سارة : لا تتركيني يا أمي .

إنصاف : لن أتركك .

فريد : لا تحاولي إغضاب أخوكي أبداً .

سارة : لن أفعل أبداً .

فريد : لقد قطعت ساعة من الطريق ، من سيدفع لي ثمن بنزين العودة الآن .

(٢)

العائلة فى الإسكندرية

عبأ الشقيقات الثلاث أواني بماء البحر ، وشرعوا يصبون الماء على سامح من كل الجهات ، وهو يضحك ويهرب منهن إلي داخل البحر ، وكلما يوغل فى المياه يقف فريد ويصرخ فيهم أن يعودا إلي الشاطئ مرة أخري .

تجول باعة العوامات والألعاب وتفاح مكسو بسكر أحمر وباعة ملابس البحر والمصورين من أمام العائلة التي أخذت ثلاث كراسي وشمسية لتجلس تحتها ، كان فريد يطرد هؤلاء الباعة بحجة أنهم يحجبون رؤية البحر وقد وصل الأمر به أن أهان بائع العوامات واتهمه أنه يريد اختطاف احدي بناته مما أرعب البائع وجعله يجري بسرعة من المنطقة التي تجلس فيها تلك العائلة .

كان فريد يطلب من كل بنت تحاول الجلوس على كرسي أن تترك الكرسي لأخوها الكبير ، ولكن سامح نفسه لم يُفضل الجلوس على الكرسي المخصص له بجوار الأب والأم وفضل اللعب فى البحر مع أخواته .

شعر فريد بالملل وأراد شراء جريدة ليضيع بعض الوقت ، وتفاجأ عندما علم من البائع أن سعر الجريدة ٢٥ قرش ، لم يكن يُحب القراءة ولكنه

سوف يتسلى حتي ينتهي هذا اليوم . لكنه لن يتخلي عن ٢٥ قرش من أجل التسلية .

لفحت الشمس وجوههم وجسد سامح الذي تمرغ فى الرمال ، وألحت عبير فى طلب الفريسكا ، فطردت إنصاف البائع قائلة : معانا مكسرات وأشياء نظيفة أحضرناها من البيت .

خرج سامح من الرمال ونفض عن نفسه ما علق به ، ورأي بائع الفريسكا يبتعد حتي بدأ يشارك عبير إلحاحها فى طلب الفريسكا فما كان من فريد إلا أن يجري خلف البائع ويشتري منه قطعتين ، خصص لسامح قطعة كاملة وباقي الأسرة قطعة ، قضمت كل بنت قضمة ورفضت الأم مشاركتهم.

نظر فريد وقال لزوجته : البحر بيجوع .

أخرجت إنصاف السندوتشات التي أعدتها وجلسوا جميعهم يتناولون الطعام فى سعادة .

خرب هذه السعادة نبأ إعلان الشهادة الإعدادية التي تناقله مصطافين مجاورين لفريد وأسرته الذين سألوا عن سامح وعن أحلام هل هم فى الشهادة الإعدادية ؟

فأجابتهم إنصاف بأن سامح فى الشهادة الإعدادية وهو ذكي جداً ، لمح فريد جريدة مع هؤلاء المصطافين ، كانوا يتحدثون عن كأس العالم فى أمريكا والفرق المشاركة .

لا حظ المصطافين تحديق فريد للصحيفة فقالوا له : لابد أنك مهتم بالكرة ، كأس العالم هذا العام قوي جداً أفضل من الأعوام السابقة والبرازيل ستفوز به لأنها أقوي المنافسين .

مد يده بالصحيفة لفريد : قائلاً واضح أنك مولعاً بكرة القدم .

تردد فريد : هل يأخذ الصحيفة ويكمل كذبة كرة القدم ، وماذا لو سأله عن كأس العالم ؟ أم يرفض الصحيفة ويستسلم للملل .

نظر فريد لصورة على غلاف الجريدة وقال : أنا أحب هذا الرجل الأسود.

المصطاف : تقصد نيلسون مانديلا ؟

فريد متردداً : نعم إيلسون أنديلا .

المصطاف مزهواً بعلمه : نيلسون مانديلا (ينطق الحروف ببطء) أول رئيس أسود فى جنوب أفريقيا.

فريد غاضباً : أنا لا أريد الجريدة .

المصطاف ضاحكاً : لماذا ؟

فريد : كي أحصل عليها يجب أن أعرف تاريخ الكورة وتاريخ إيلسون أنديلا ، لا أريدها .

المصطاف : لا داعي كنت أحب أن أتجاذب أطراف الحديث معك كي أنهي هذا اليوم الممل وأنسي نتيجة الشهادة الإعدادية لأن ابني أيضاً فى نفس عمر ابنك .

يأخذ فريد الجريدة ويتصفح أوراقها ويسأل : أين ملحق هذه الجريدة ؟

يحتفظ بكل أوراق الجريدة والملحق ويضعهم فى حقيبة الطعام كي يستخدمهم فى تنظيف زجاج السيارات فى ورشته ، الآن فقط تذكر أين شاهد إيلسون أنديلا .

سرح بخياله إلي ورشته ، لقد حذر الفني الذي يعمل معه فى الورشة أن يصلح أي سيارة فى غيابه ولا يقبل أي عمل جديد خلال هذا اليوم ، ولابد أن يخبر كل أصحاب الورش المجاورة والزبائن أنه اليوم فى مصيف فى الإسكندرية ، ما عدا صاحب السيارة التي أخذها لأنه أخبره أنه أخذها من أجل أن يذهب بها إلي المستشفي ، ماذا سيقول الرجل عندما يري الكيلومترات على عداد سياراته ، ارتبك وهز رأسه الكبير كأنه يشفق على نفسه مما سيفعله الرجل به .

حاولت الأم أن تعيد إلي أسرتها فرحة المصيف ، فبحثت عن بائع العوامات واشترت أكبر عوامة لديه ، عندما رآها فريد صعق وقال : بكم هذه العوامة ؟ ألا تعلمين أن هذا الرجل لص ؟

لم تجيب الأم عليه وأعطت العوامة لسامح الذي جلس عليها وبدأت شقيقاته بدفعه نحو الماء .

فى نهاية اليوم بدأت الأم فى التحدث عن النتيجة وأن هذه الفرحة الكبري فى بيتهم ، ولكن الشك فى قدرات سامح ومعرفتها الجيدة بمدي كسله وتقصيره سرب القلق إلي قلبها وهو ما أخبرت فريد عنه ، وشاركها نفس القلق ، ونذر فريد أن يقوم بعمل وليمة يوم نجاح سامح .

تسرب القلق إلي قلوبهم وبدءوا يفكرون فى نتيجة سامح ، طوال طريق العودة الطويل لم يتكلم سوي الفتاتان الصغيرتان اللتان لا تحملان فى صدورهن الصغيرة أية مشاعر قلق أو خوف .

أما سامح فقد ظل ساهماً شارداً كفيلسوف اقترب من معرفة أصل الوجود الإنساني ومعرفة أسرار الأزلية ، كان يراقب حركة الأشجار والطريق الذي ينطوي فى طريق عودتهم إلي المنزل وبعدها استسلام للنوم .

(٣)

نتيجة الشهادة الإعدادية

فى الساعة التاسعة صباحاً ، أمام المدرسة الإعدادية وقف أهالي المنطقة ينتظرون نتيجة الشهادة الإعدادية ، فى حضور معظم المدرسين ومدير المدرسة قد تم طباعة الدرجات فى شهادات مؤقتة ويقوم بتوزيعها أحد عمال النظافة المحظوظين لأنه يجمع من الأهالي مبلغ كبير .

أخذ عامل نظافة نتيجة سامح وبعض الطلبة المعروف أن آبائهم يمتلكون الورش والمتاجر أو سيارات الأجرة والتاكسي . كان يعرف معظم الطلبة و آبائهم ولكنهم اختار ميسوري الحال .

جاء البشير إلي الأوسطي فريد متوقعاً قدراً كبيراً من المال لأن جميع أهالي المنطقة يعلمون مدي حب هذه الأسرة لسامح ، و بنجاح ابنه الوحيد سامح فى الشهادة الإعدادية تخيل عامل النظافة أن سيأخذ من فريد الكثير من المال لكن فريد أخرج جنيهاً واحداً وأعطاه له .

رفع عامل النظافة الجنيه وقال : ما هذا جنيه واحد !!!!

تهامس الحاضرين من مدرسين وأولياء أمور : يا لهذا الرجل البخيل ، لو أعطاه عشرة جنيهات لكان رضي ولم يفضحه ، انه ابنه الوحيد .

التفت إليه واليهم فريد قائلاً : لم يساعدني واحد منكم فى جمع هذا المال ، لذا أنا فقط من له الحق فى تفرقته بالصورة التي أرها .

عامل النظافة : ولكني توقعت أكثر من ذلك يا أوسطي فريد .

فريد : عشائك عندي الليلة ، أنت وهؤلاء المدرسين المحترمين بمناسبة نجاح سامح .

قرر عامل النظافة أن يؤدب فريد ، فجري إلي أصدقائه يقص عليهم ما حدث بينه وبين فريد وتوسل إليهم لكي يأتوا معه إلي منزل فريد .

أقبل الضيوف على بيت الأوسطي فريد فوجدوه قد أعد أطباق بعدد المدرسين الذين تمت دعوتهم ، وعندما ظهر الضيوف الجدد وأمرهم عامل النظافة أن يجلسوا على الفور أمام موضع الطعام كل واحد بجوار أحد المدرسين ، وجلس فريد فى صدر المجلس الجميع على أرضية قد فُرشت لهذا الغرض.

أحد مدرسين سامح : أُكد لكم أن مستقبلاً باهراً ينتظره لأنه غاية فى الذكاء ينقصه بعض النشاط وسيكون ذو شأن .

مدرس الرياضيات : مجموعه ليس كبيراً جداً ولكنه يؤهله لمرحلة الثانوي العام .

مدرس الجغرافيا : لماذا لا تدخله تجارة بريد ؟

عامل النظافة ساخراً : بعد كل المصاريف التي صرفها الاوسطي فريد يصبح بوسطجي ؟

فريد مبتسماً : هذا موضوع قد حسمته سامح سيصبح طبيب ، ألا تعرفون أن الأطباء يُوصون دائماً بشرب الماء قبل تناول أي طعام ، فإذا كان بالمعدة طعام شعر الشخص بالشبع .

عامل النظافة : الشبع !! هذه كلمة وحالة نسمع عنها ولم نشعر بها أبداً

يضحك الحضور ويقول أحدهم لأخر : كان سامح يأخذ الدروس طوال العام وكان يدفع شهر ويتخلف أشهر ونحن فى انتظار وليمة دسمة تعوض علينا ما فاتنا من نقود فريد ، ولكنه معروف بالبخل أهون عليه أن يطعن فى وجهه ولا يطعن فى طعامه .

عندما دخلت بناته يحملن الطعام ، كان حجم الأطباق صغير يناسب الأطفال أكثر ، و تحتوي على قدر قليل جداً من الطعام لا يناسب العدد الكبير المدعو على هذا العشاء .

يغرق الحضور فى الضحك والسخرية من حجم الأطباق والطعام الموجود بها .

فريد بعد أن خرجت بناته قائلاً : يقولون إن أطباقي صغيرة !! فمن الشهره بن الجائع الذي يستطيع أن ينهي طبق واحد كامل منها .

فبهت الحضور ، وأراد أحدهم أن يرد علي فريد ، وإذا بالباب قد فتح ودخل أحد الفنين الذين يعملون معه فى الورشة فسلم على فريد الذي رد السلام باقتضاب : ماذا تريد الآن ؟

الفني : لقد جاء إليك خطاب من الضرائب اليوم مرة أخري .

أحد الحضور : أليس من العيب ألا تدعوا هذا الشاب إلي طعامك يا أوسطي فريد ؟

الفني : والله قد تناولت طعامي .

فريد : لقد أقسم الرجل بالله أنه تناول طعامه .

أخذ فريد خطاب الضرائب ووضعه فى لامبالاة بجواره ، وقال : الجميع يريد أن يشاركني رزقي حتي الضرائب ، إطعام الطعام والولائم والعزائم قد جرت علينا الطمع .

مدرس الجغرافيا ضاحكاً : أنا فى نفس عمرك يا أوسطي فريد وهذه أول مرة أدخل بيتك .

(٤)

فى المدرسة الثانوية

كان المبني أكثر ضخامة من المدرسة الإعدادية فى منطقتهم ، الجدران تتزين برسوم رياضية وعليها أسلاك شائكة تمنع الطلبة المتسللين من الداخل والخارج .

مشي فريد مسافة كبيرة جداً فى ردهة على جانبيها الفصول الدراسية ودخل غرفة مكتوب عليها مدير المدرسة ، كان جالساً على مكتبه غارق فى التفكير.

فريد : السلام عليكم يا حضرة المدير ، أنا ولي أمر الطالب سامح فريد سند .

المدير: وعليكم السلام ، أهلاً وسهلاً .

فريد : هل يمكنني أن أعرف سبب استدعائي ؟

المدير : لأني سوف أفصل ابنك من المدرسة ، ويجب أن أخبرك قبل تنفيذ أي شيء رسمي .

فريد : سامح فتي طيب ومستحيل أن يكون تعرض لأحد بأذى .

المدير: نعم انه كذلك .

فريد يقف ويهم أن ينصرف : شكراً لك أيها المدير.

المدير (بعصبية شديدة) : هل تعلم مكان ابنك الآن .

يرد فريد بهدوء وهو مازال واقفاً : فى المدرسة عندك .

المدير : إنه لم يحضر للمدرسة منذ أكثر من شهر .

فريد : أين ذهب ابني ؟ أنتم المسؤلين عن سلامة الولد .

المدير : أنا أري انك تشبه ابنك إلي حد كبير ، أنا أعمل كمربي فاضل لمدة تجاوزت الثلاثين عاماً ولكني لم أجد شخص كسول مثل ابنك سامح .

فريد : انه بطيء بعض الشيء . ولكنه ذكي جداً .

المدير : أنت الآن تدافع عن ابنك ، وأنا أري أن المدرسة الثانوية لا تناسب ابنك .

فريد : لا داعي للقرارات العنيفة والولد لم يكسر شيء ولم يؤذي أحد .

المدير : أنا أتكلم معك من أجل مصلحة سامح ، هناك فى شبرا بالقرب من هنا مدرسة بريد يمكنه أن يلتحق بها وأنا أضمن له التوظيف فور انتهائه منها .

فريد : سامح سيصبح طبيباً .

المدير : عليك إذن أن توقع على هذه الورقة وقبل أن تسأل هذه إقرار ولى الأمر بعدم حضور ابنه .

فريد : ولكني لست مضطر أن أوقع لك على ورقة مثل هذه .

المدير : إذن سأوقع أنا ورقة الفصل هذه وحل مشكلتك بعد ذلك فى الوزارة .

فريد : لا داعي ، أين تريد توقيعي .

يخرج فريد من المدرسة ولا يفكر فى سامح ، كان يفكر فى المشاكل المنتظرة له فى الورشة .

أمام الورشة وقف عدد كبير من الجيران وأبناء المنطقة حول عربة الشرطة التي توقفت فى مدخل ورشة فريد ، والجميع يسأل : ماذا يحدث ؟

رجل يرتدي الملابس المدنية ويجلس بجوار الضابط فى مدخل الورشة يجيب : حجز إداري على الورشة بسبب المديونية الضريبية واجبة الأداء.

ينظر الناس بشفقة لفريد القادم نحو مدخل الورشة قائلاً بهدوء : خير يا باشا ؟

الضابط : من أنت ؟

فريد : أنا صاحب الورشة .... فريد سند .

مأمور الضرائب : لماذا لم تدفع الضرائب المتأخرة عليك يا فريد كل تلك السنوات ؟

فريد : كم سنة ؟

مأمور الضرائب ينظر فى أوراقه .... منذ أن فتح والدك هذه الورشة أكثر من ثلاثين سنة .

فريد : صبرتم ثلاثين سنة ..... فلتصبروا ثلاثين سنة أخري .

الضابط : سوف نأخذك إلي القسم حتي تتعلم كيفية الرد .

فريد (بسأم) : وهل هذه تهمة !!!

مأمور الضرائب : عليك يا فريد مديونية كبيرة واجبة الأداء وأنت لم تقدم عل أي طعن ، وجئنا اليوم كي نوقع الحجز الإداري على الورشة ومحتوياتها .

فريد : لماذا أنا بالذات الحكومة تضطهدني ، هذه مشكلة الشخص المحبوب الذي يساند الناس ويحل مشاكلهم .

الضابط : أنت تحل مشاكل الناس ، لقد قرأت ضدك عشرات المحاضر لزبائن خربت لهم سيارتهم وأخذت أُجرة إصلاح على أشياء لم تصلحها .

فريد موجهاً حديثه للضابط : حضرتك غير قادر على تصديقي . أظنك تكرهني .

الضابط (غاضباً) : أنا لا أعرفك حتي أحبك أو أكرهك .

مأمور الضرائب : هل لديك أموال الدولة يا فريد ؟

فريد باكياً: أنا اليوم أري عجائب وغرائب من طباع البشر ..... موظف كبير وضابط شرطة يطلبون من شخص مثلي أموال الدولة ، ومن أنا

حتي أُعطي الدولة . بعد ثلاثين عاماً يطالبوني فقير مثلي بأموال الدولة . لماذا لا تطلبوا مني والدي رحمه الله بتلك الأموال ، الآباء يبذرون ويسرفون والابن يدفع ديونه هذا ليس عدلاً .

الضابط : ليس لدينا الوقت لهذا الكلام .

الضابط يأمر جنوده بإغلاق أبواب الورشة ووضع الشمع الأحمر.

يطلب فريد مهلة لإخراج السيارة الموجودة فى الورشة ، تحريك السيارة للخلف كان فى منتهي الصعوبة ، اضطر فريد أن يطرق على المحور بضعة طرقات لإعادة المحول إلي حالته .

عندما رآه الضابط صرخ فيه : ليس وقت الإصلاح يا أوسطي .

ينظر فريد بطرف عينه للضابط ويكمل طرقاته ثم يسحب السيارة للخارج .

نباح الكلاب الضالة جعل فريد يتحرك من أمام باب الورشة المغلق ، وأغلقت باقي الورش المجاورة أبوابها أيضاً ، وأصر فريد أن يلوث ملابسه بزيت التشحيم ، لأنه قرر أن لا يخبر زوجته وأطفاله عن إغلاق الورشة .

(٥)

فريد عاطل عن العمل

أُغلقت الورشة مصدر الدخل الوحيد لهذه العائلة ، وعاد فريد إلي المنزل الذي طالما هزت قهقهاته جنباته يعود إليه اليوم حزيناً شارداً ، يدير عينيه فى أنحاء بيته ليتلهى عن تلك الخواطر السوداء المطبقة على صدره ، ماذا سيقول عنه الناس الآن بعد أن جلس فى البيت إنه يخجل أن يراه أحد فى البيت فى الصباح الجميع فى أعمالهم وهو فى البيت ، الأيام ستصبح طويلة مملة بطيئة ليس بها سوي الأكل والنوم وملاحظات على تربية أطفالهم ، فريد لم يفقد الورشة فقط ولكنه فقد احترامه أمام عائلته وأمام الناس ، الناس يحكمون عليه أنه بخيل وهذا أمر يقبله بكل سرور ، لكن التهمة التي لا يقبلها أبداً هي أنه عاطل ، جلس واضعاً رأسه بين راحتيه على الأريكة بجوار شباك يواجه الشارع مباشرةً ، تخيل نفسه عاطل بلا عمل غير المكوث أمام هذا الشباك الممل ، لا شيء يحدث فى هذا الشارع الجانبي ، لا شيء يُسمع سوي صوت السيارات وأبواقها ، كم يشتاق إلي ورشته وصوت السيارات التي يصلحها هو بيديه ، كانت إنصاف فى المطبخ وشعرت بتغيير فى سلوك فريد وعندما شاهدته على هذه الحالة سألته : ما بك يا فريد ؟

تمر فترة من الصمت قبل أن ينطلق قائلاً : الضرائب حجزت على الورشة ، وتريد مبلغ كبير ؟

ينظر فريد فى مرآة البوفيه ويشعر أنه اعترف سريعاً جداً ودون أن يتعرض لأي ضغط .

تأمر الفتيات أن يلعبن في غرفة سامح

و تصرخ إنصاف وتولول : كم المبلغ ؟

فريد : أكبر من أن نحصل عليه ، وأنت تعرفين المال دائماً يقول لنا مع السلامة ..... أين سامح ؟

فريد : فى غرفته .

إنصاف : ولماذا ملابسك ملوثة بزيت التشحيم هكذا ؟

فريد : أردت أن أخفي عنك نبأ الورشة لبعض الوقت ، حتي أجد حل .

إنصاف : ولماذا قررت إخباري الآن .

فريد : لأني ليس أي مكان أذهب إليه كل يوم مثل ابنك .

إنصاف : ابني ؟؟

كان لدي سامح غرفة خاصة به ، لم يكن بها أثاث سوي سرير صنعه فريد بنفسه ، وتنام البنات الثلاث على كنبات موضوعة فى الصالة ، يتوجه الأب إلي غرفة سامح تتبعه زوجته .

فريد بصوت عالي : أين تذهب كل يوم يا ولد ؟ أنت لا تذهب إلا المدرسة.

إنصاف : لا تجعل موضوع الورشة يؤثر عليك ، أنت عدواني جداً مع سامح اليوم .

فريد : لقد أخبرني مدير المدرسة أن ابنك لا يذهب إلي المدرسة .

إنصاف : أين تذهب كل يوم يا حبيبي ؟

سامح ينظر إلي أمه فى استعطاف : إلي المسجد .

إنصاف : أتري يا فريد لقد ظلمت الولد ، هو لا يذهب إلي السينما أو إلي القهوة كما يفعل الشباب أمثاله ولكنه يذهب إلي المسجد .

فريد : ليس لديه المال الكافي كي يذهب إلي السينما أو يجلس على القهوة يا هانم .

فريد : ولماذا تذهب إلي المسجد فى وقت المدرسة ؟

سامح باكياً : أكره الفيزياء والرياضيات والكيمياء ولا أريد هذه المدرسة .

إنصاف : وأية مدرسة تريد ؟

سامح : لا أريد أن أتعلم ، لقد أصبحت رجلاً وأريد أن أذهب معك إلي الورشة .

إنصاف : وحسرتاه ، الورشة ومن يقبل أن تعمل فى ورشة .... الدكتور سامح فريد سند يعمل فى ورشة لقد منعك أبوك طوال حياتك أن تدخل الورشة كي لا تقول مثل هذا الكلام .

فريد : أنت متأخر يا سامح ، فى أي مسجد تجلس يا ولدي ؟

سامح : المسجد الملاصق لسور المدرسة .

فريد : سنذهب سوياً أنا وأنت كي نجلس أمام هذا المسجد ونطلب الإحسان والصدقة من الناس ، لقد أُغلقت الورشة .

سامح : لماذا أُغلقت ؟

فريد : لأن أبوك رجل نظيف ، يساعد الناس و يعرف الله .

سامح : ولكني لم أراك أبداً تدخل مسجد فلماذا ستدخل اليوم هذا المسجد بالذات ؟

يخلع فريد حزامه ويقوم بضرب سامح ضرب مبرحاً مردداً : حتي تعود إلي مدرستك يا كلب يا ابن ...

حاول فريد تجميع المال اللازم لتسديد دين الضرائب لكن الجميع رفض إقراضه المال ، كان يعود كل يوم بخيبة أمل ، كل يوم يخسر شخص تخيل يوماً أنه صديقاً له ، لكنه تأكد أن لا صديق للإنسان سوي ماله .

لم يكن أمام فريد سوي باب واحد يمكن أن ينقذه من مطالب واحتياجات العائلة التي لا تنتهي ومن الجلوس فى البيت بانتظار الفرج

الذي لن يأتي أبداً ، كان عليه أن يبحث عن فرج وأمل أن فرج لم يموت هكذا قال لنفسه وهو مبتسماً .

(6)

سامح فى الامتحان

مدرسي الدروس الخصوصية يرون أن المدرسة الحديثة فى التعليم لم تعد تخفي عن الطالب أسئلة الامتحان ، فقد كان أصدقاء سامح الذين يأخذون الدروس عند مدرس المادة يعطيهم نصف أسئلة الامتحان على أنها الأسئلة المتوقعة ، وكان هؤلاء الطلبة يشفقون كثيراً على سامح الهادئ الذي لا يستطيع إيذاء ذبابة ، فيعطونه أسئلة الامتحان والأجوبة ويوصونه أن يكتم هذا الأمر عن جميع الطلبة ولكنه كان غير قادر علي فهم طلاسم الرياضيات والفيزياء فكان يُضطر أن يكتب الأسئلة والأجوبة فى ورق يخبأه فى ملابسه ، ويظهر هذا الورق عند غفلة المراقب .

كانت الفيزياء هي أخر مادة فى امتحانات الصف الأول الثانوي و مراقب الفيزياء بوجهه المتجهم ونظراته التي تنفذ إلي داخل الطالب ، يلف حول صفوف الطلبة الممتحنين بانتظام جعل سامح غير قادر أن يخرج ورقة الغش .

اقترب وقت الامتحان على الانتهاء ولم يكتب سامح ما يكفي لنجاحه فى الفيزياء ، قرر أن يخرج ورقة الغش أمامه ويكتب منها مباشرة ولن يحدث له أكثر من أن يسقط فى المادة .

مد المفتش يده وضبط سامح متلبساً بالغش قائلاً : أنت أغبي غشاش شاهدته فى حياتي .

يقف سامح هادئ ولا يرد ، عندما دخل رئيس اللجنة ووجد المراقب ممسك ورقة الغش بيد وفى اليد الأخرى ممسك كتف سامح الذي بكي وتوسل إلي المراقب وإلي رئيس اللجنة أن يدعوه يغش .

رد رئيس اللجنة : يظهر أنك لا تصغي جيداً .

استغرب المراقب من طلب سامح فرد عليه : أنا سألغي امتحانك ، وستعيده فى العام القادم و المفروض تطلب مني أن أدعك تكمل امتحانك وليس ادعك تغش !!!!

تعاطف رئيس اللجنة مع سامح وقال : هذه المرة فقط سوف نسامحك يا .....

المراقب ينظر إلي ورقة الامتحان : اسمه سامح .

يعيد المراقب ورقة الامتحان الذي يرفض أن يستلمها قائلاً : أنا لا أعرف معلومة واحدة فى هذه المادة .

المراقب : طوال العام تغط فى النوم وتريد أن تنجح مستحيل . اجلس واكتب أي شيء ، مازال أمامك نصف ساعة .

سامح : ليس لدي شيء .

رئيس اللجان يأمر المراقب بالابتعاد ، ويعطي سامح ورقة الغش ليكمل إجابات الفيزياء ويهمس له فى أُذنه أن يخبره اسم من أعطاه هذه الأسئلة .

يقترب سامح من أذن رئيس اللجان ويخبره بكل ما يريد أن يعرف ، فهو لن يحتاج إلي مدرس الفيزياء والكيمياء والرياضيات مرة أخري لأنه اختار الشعبة الأدبية .

****

(سافر فريد)

حرص سامح فى خطاباته إلي أبيه ألا يخبره بأنه اختار الشعبة الأدبية لأن كل خطابات أبوه إليه كان يناديه يا دكتور سامح فلم يريد تَخْيِيب أمله فيه .

فى الأردن عمل فريد كميكانيكي فى ورشة تابعة لشخص فلسطيني ، وكان فريد كعادته يتدخل فيما لا يعنيه ، ودائماً يذكر الفلسطيني بأن الأردن ليست أرضه وأن عليه أن يرحل عنها ويترك له هذه الورشة ، فما كان من هذا الفلسطيني إلا أن طرده من الورشة .

ليعمل فى الخُردة ، ولكن الشرطة الأردنية قبضت عليه وهو يأخذ العلامات المرورية المعدنية فى الطرق والكباري ودخل إلى السجن وخرج بعد أسبوع لأنه ادعي الجنون وادعي أن مقاول الطرق قام بالانتهاء من أعمال الطريق ولم يعد بحاجة إلي هذه الأشياء المعدنية .

تأكد فريد أنه لا رزق له فى الأردن لذا سافر إلي العراق .

فى قرية كبيرة من قري العراق فضل أن ينشأ ورشة خاصة له ، استخدم أنصاف النخيل المقطوعة وصنع جدران ورشة وبمساعدة من أهلي القرية استطاع أن يصنع باب بسيط ويضع لافتة معلناً أول ورشة لإصلاح السيارات فى هذه القرية ، كان مشهد فرع من نهر الفرات يتسلل خلال قنطرة حجرية واضح إنها صنعت من مئات السنوات العلامة المميزة لورشته ، لذا أسمي العراقيين على هذه الورشة بورشة القنطرة.

صوت سيارة مرتفع جداً قادم إلي ورشة القنطرة ، هذا أول اختبار وهذا أول زبون فى هذه البلدة .

الزبون : السلام عليكم كيف حالكم ؟ هل تعمل وحدك بهذه الورشة ؟

فريد باسماً : نعم أنا وحدي ، هل لديك عروس لي ؟

الزبون ضجراً: أتمني أن يكون عملك جيد مثل ظُرفك ، هل تسمع هذا الصوت العالي ؟ أريد إصلاحه فى الحال .

فريد : السيارة التي تصدر صوت خير من السيارة البكماء !!!

ينزعج الرجل من الظرف الزائد ويقول بحزم : وأريد أن تنظر على تانك المياه .

فريد يعمل ويتكلم بجدية فى نفس الوقت : هذه سيارة أمريكية .

الزبون : نعم مكافأة من زمن حرب إيران ، كنا نُعطي مكافآت سيارات وسبائك ذهبية وأراض .

فريد بغباء : أيام جميلة .

الزبون : كانت أيام حرب وصعبة .

فريد : وفى حرب أمريكا ، ماذا أخذتم ؟

الزبون : إذا ذكرت أمريكا لا تقل أخذتم ، ألم تشعر بالفقر الذي نعيشه بسبب أمريكا.

فريد : الله يلعنهم .

انهي فريد إصلاح السيارة للزبون بسرعة وبمجرد أن أنهي معه حوارهم عن الحروب العراقية من أيام مشاركتهم فى الحروب العالمية حتي حرب الخليج ١٩٩٠ .

تزاحمت السيارات على ورشة القنطرة ، وأخيراً فريد محظوظ .

تعمد فريد أن يخفي عن زوجته كل شيء ، وخصوصاً أموره المادية وكم يربح فى غربته ،هو يعلم أن النساء مسرفات ، ولو علمت أن ورشته فى العراق تُدر عليه الكثير من الأموال سوف تُكثر هي من الطلبات ، كان فريد يرسل إليهم ما يكفي احتياجاتهم الضرورية فقط . حتي عندما اشترت إنصاف تليفزيون اشترت تليفزيون أبيض وأسود .

واستغرب البائع عندما طلبت تليفزيون أبيض وأسود فقال لها : هل تريدين تليفزيون أبيض وأسود سنة ٩٧ سوف نبحث فى المخزن يوجد قطعة أو اثنين على ما أتذكر.

فقالت له : هذا طلب زوجي حتي لا تري بناته قلة حياء الممثلات فى الأفلام ملونة .

لا يتكلم فريد كثيراً يعمل فترة فى العراق ثم ينتقل للعمل فى الأردن وهي لا تعرف أين هو ، ولكن كل الخطابات وشرائط الكاسيت التي يرسلها تدل على أنه كان فى الأردن وانتقل إلي العراق .

وعندما كانت تلح عليه فى السؤال ؟ كان يغلق سماعة الهاتف ، وقتها تشعر إنصاف بإحراج شديد أمام جارتها صاحبة الهاتف والتي كانت تُصر على أن تحضر وتسمع كل كلمة تقولها إنصاف لزوجها .

(7)

سامح فى الكلية

فى فناء المدرسة الثانوية الضخم ، وقف أحد المدرسين ممسكاً بمكبر صوت وينطق اسم الطالب ومجموعه ، فى لا مبالاة جلس سامح على درجات المدرسة بينما وقف كل الطلاب وأولياء أمورهم منتظرين فى ترقب النتيجة ، وكانوا جميعهم معتقدين أن هذا الطالب الجالس وحيداً على سلالم المدرسة متأكد من نجاحه وتفوقه .

انتفض سامح واقفاً كمن لسعته النار ، عندما سمع اسمه بالكامل ومجموعه فى الثانوية العامة ، لم يتخيل أبداً أنه سيحصل على هذا المجموع البسيط فهو يحب علم النفس والفلسفة والمواد الأدبية ، وكيف سيخبر والدته بهذا المجموع ؟ بعد كل ما عانت من أجله .

رمى نفسه بين يدي أمه و بكى بحرقة ، سألته أمه على الفور : هل ظهرت النتيجة هل ستصبح طبيب ؟ أعادت السؤال عدة مرات .

سامح : لن أصبح طبيب كما تمني أبي أولاً وأخيراً لأني بالشعبة الأدبية .

إنصاف : ما معني ذلك ؟

سامح : لم أحصل على مجموع كبير ، قد التحق بكلية التجارة أو الآداب.

انتحب طويلاً ، ثم نام بين يديها ..

بينما سامح نائم بين يدي أمه لم يشعر إلا بعصا المقشة الخشبية فوق جسده البض ، وقام وهو يصرخ ويتألم ثم جري إلي غرفه وأغلق بابه على نفسه .

نصح الجميع أم سامح بكلية التجارة شعبة بريد ، وعندما سمعة كلمة شعبة تذكرت الشعبة الأدبية وانقبض صدرها ولكنهم أكدوا لها أن الوظيفة مضمونة فى البريد حيث يضع كل الشعب المصري أموالهم ..... تخيلت أن كل أموال مصر بين يدي سامح .

بعد أسبوع من التيه فى ممرات وطرقات كلية التجارة ، أخذا يعبران الحشيش الأخضر باتجاه واجهة مبني الكلية الرئيسي ، وكان منظرهما يوحي بنوع من التناقض ، فقد كان سامح هادئ قليل الكلام وكان سمير نشيط متحدث ، وكان لكلاهما بدن مترهل ناعم ممتلئ ، إمارات الصداقة والود كانت ترتسم على محياهم ، أطلق سمير العديد من النكات وأخذ يهتز بفعل الضحكات التي أطلقها ، ولم يشاركه سامح فى الضحك لأنه كان يفكر فى أبوه الأوسطي فريد الذي سيعود قريباً إلي مصر ، وكيف سيخبره بأنه فى كلية التجارة .

سمير : هل تصدق فعلاً أن أبوك سيعود فعلاً ، هو يَعد كل عام بالعودة ولكنه لا يفعل . قد يكون تزوج واحدة أخري وينفق عليها كل أمواله .

سامح : أُكد لك أن أبي ملاك . وسوف يعود يوماً

سمير : أنا لدي أب شيطان وأتمني أن يذهب يوماً ولا يعود .

سامح : أنا لم أري في حياتي شخص يُبغض أبوه .

سمير : أنا أفعل ، لقد زرع فى قلبي كمية كبيرة من القهر والحزن أنت لا يمكنك أن تتصور معاملته لي وأنا ابنه الوحيد .

سامح : هذه مصادفة عجيبة أنت ابن وحيد أيضاً ؟!

سمير : كنت اتمني أن يكون عند أخ ، لكي نكافح هذا الأب الطاغية الظالم .

سامح : لا يجب أن تقول هذا الكلام عن أبوك .

سمير : أنا أكبر من بثلاث سنوات ، لقد حسنت الثانوية ثلاث سنوات وفى النهاية ألتحق بكلية التجارة بسبب ظلمه وجبروته .

سامح : ماذا فعل هذا الرجل بالضبط ؟

سمير : لقد لطمني على وجهي بعد إعلان نتيجة الثانوية العامة وطلب مني ما أنفقه على تعليمي و..

سامح : أنا شخصياً سأرد لأهلي كل مليم صرفوه ، حتي يتمكنوا من تزويج أخواتي .

سمير : أنا لا استطيع أن أفعل ذلك ، أنا خريج مدارس أجنبية وأبي كان يدفع بالدولار كل عام وأصر أن أعمل فى وظيفة براتب صغير فى البريد حتي اعرف قيمة ما أنفقه ، هل رأيت ظلم أكثر من ذلك .

سامح : أنا غير مضطر للخوض فى هذا الحديث التافه أكثر من ذلك لدي محاضرات كي أحضرها.

كان سامح يحضر المحاضرات ويجلس فى أعلي المدرجات الكبيرة ليختلس النظر إلي الفتيات وعندما يرنو واحدة أو اثنتان بنظرة يختبئ خلف أي كتاب ، فى محاضرة الاحصاء تعلقت عيناه بعيني فتاة ذات وجه أبيض يشوبه بعض من حب الشباب وكانت لحظة حرجة ، فقد بدأت زميلاتها بالهمس تبع الهمس ضحكات ، سامح تواقاً للتحدث معهن أي واحدة فقد كان طوال حياته فى مدراس عسكرية للبنين فقط ، وكانت الفتيات في الجامعة فى سن البلوغ مرتديات أحسن الثياب وبعضهن تضعن المساحيق وتظهر شعرها .

صاح سمير بأعلي صوته فى المحاضرة : أنت تنظر إلي الفتيات يا سامح ..... أنت تنظر إلي الفتيات يا سامح ..... أنت تنظر إلي الفتيات يا سامح.

وأخذ يكرر الجملية شعر سامح بما يشبه الفضيحة وخرج يجري من محاضرة الاحصاء ولم يحضرها مرة أخري .

هذه الحادثة جعلت سمير يشعر بالذنب تجاه سامح ولن ينسي سمير هذا الموقف طوال حياته ، وكيف جعل كل الطلبة يضحكون ويهزئون من صديقه ، أما سامح فقد قبل اعتذار سمير بعد أسبوع واحد ولكنه لم يحضر محاضرة الإحصاء مرة أخري فقد كانت تذكره بالفيزياء .

(8)

سامح فى العمل

ابتسم ابتسامة حالمة وهو يفكر فيها ، انها أمامه تنظف الموائد ويقف هو مرتدياً زي المطعم الرسمي فى انتظار دخول الزبائن ، عندما انتهت من التنظيف اتجهت إليه قائلة : انتبه المدير قادم.

يرتج جسد سامح المترهل عندما يري مدير المطعم الذي يعمل فيه ، ويرسم على وجهه ابتسامة مرحبة ويتوجه إلي مدير المطعم : مساء الخير يا حضرة المدير.

مدير المطعم : كم عدد الحجوزات اليوم ؟

سامح يتجه نحو دفتر الحجوزات ويقلب صفحاته ، بينما يرن الهاتف فيترك الدفتر ويرد على الهاتف ، يدخل مجموعة من الزبائن إلي المطعم فيحتار سامح ولا يعلم ماذا يفعل ويغلق سماعة الهاتف ويتوجه نحو الزبائن وفى يده قوائم الطعام ويرافقهم محاولاً الترحيب بهم ثم يعود بسرعة إلي مدير المطعم الذي مازال واقفاً ينظر إلي حيرة سامح .

مدير المطعم : هل تعلم أنك بالرغم من حصولك على شهادة جامعية فإنك فاشل ، كان قبلك فى الاستقبال موظف حاصل على الدبلوم ولكنه كان أفضل منك بكثير ، يا سامح هذه الوظيفة لا تناسبك .

سامح مغتاظاً : أنا أعلم انها لا تناسبني لأن مؤهل للقيام بوظيفة المشرف العام .

مدير المطعم : هذه وظيفتي وستحصل عليها إن شاء الله بعدما أموت .

سامح : أنا أسف .

مدير المطعم : أنت مثل أخي الصغير وأريدك أن تركز على عملك وليس على مساعد الويتر ، هذه البنت رغم جمالها حاصلة على الشهادة الابتدائية لم تجد من يصرف عليها حتي تحصل على بكالوريوس مثلك فدعها وشأنها واهتم بعملك وركز فيه قبل أن تخسره .

سامح : سأهتم ..... سأهتم .

بعد انتهاء العمل توجه سامح إلي تلك الفتاة مساعد الويتر وكانت لا تزال ترفع الأطباق وترسلها إلي المطبخ . حدق سامح فى الفتاة بغباء متناسياً تعليمات مدير المطعم ، ولاحظت الفتاة عيون سامح المتعلقة بها فى أمل ، لكن يجب أن يدرك أنه لا أمل لدي الفقراء .

الفتاة مساعد الويتر : لماذا تنظر إلي هكذا ، هل أنا الفتاة الوحيدة التي تعرفها فى حياتك ؟

سامح : أنا لم أعرف فى حياتي غير الفتيات .

الفتاة مساعد الويتر : ما الذي يعجبك فى ؟

إنه يستطيع أن يبدي إعجابه بأي شيء ما عدا ذلك الرداء الزهري الذي ترتديه .

سامح : كل شيء . هل أستطيع أن ....

يقاطعهم مدير المطعم بحسم : سامح تعالي .... عاصم بك صاحب المطعم يريد أن يراك .

لن يخاف سامح من أي شخص ، هو لم يفعل أي خطأ ، ماذا يمكن أن يفعل عاصم بك به ، بمجرد أن يعلن البريد عن وظائف سيتوجه مباشرة إلي البريد ويصبح موظف وعندها لا يستطيع أحد أن يفصله .

كل هذه الأفكار دارت فى رأس سامح قبل أن يدخل غرفة عاصم بك الذي لم يراه أحد ، حتي مدير المطعم لم يتكلم كثيراً عن عاصم بك فقد كان يتلقى التعليمات منه بواسطة الهاتف ، ولم يأتي كثيراً إلي المطعم يأتي كل ثلاثة شهور تقريباً ودائماً يأتي بعد انتهاء العمل فى المطعم حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

توسط أبو سمير له عند عاصم بك كي يعمل فى هذا المطعم بعد التخرج مباشرة ، وكان سامح يتصبب عرقاً خجلاً فى أيامه الأولي فى العمل ، ولكن مبلغ ٤٠٠ جنيه وخروجه من المنزل الممل جعله ينسي خجله وينسي شهادته التي أراد أن يتوظف بها .

أين أنت يا مكتب البريد ؟ سامح يريد أي مكتب ... هو محاسب ويستحق أن يجلس على مكتب لا أن يقف على قدميه أكثر من عشر ساعات فى اليوم ، لا لن يخاف من عاصم بك .

اتخذ عاصم بك كلب حراسة يجلس بجواره طوال الوقت ، هو صديقه الوحيد ، لم يجرأ أي موظف على الدخول إلي غرفة عاصم بك .

شعر سامح أنه محظوظ أنه سوف ينال هذا الشرف ويدخل غرفة عاصم بك ، هو بالتاكيد يعرف أبو سمير صديقه ولن يطرده ، توقع سامح أنه سيوبخه بكلمات بسيطة ويطلب منه أن يلتفت إلي عمله .

طرق الباب فسمع صوت رقيق يأمره بالدخول ، دخل سامح وظل واقفاً بجوار الباب وكان عاصم بك على مكتبه يشاهد التلفزيون ولم يلتفت إلي سامح ، ولم يقترب سامح أكثر خوفاً من الكلب الجالس بجوار المكتب .

كانت هناك صورة طيار وسيم مرتدياً الزي الرسمي للطيارين ، وصورة أخري لشيء يشبه المنطاد معلقة على الحائط . الإنارة الوحيدة فى الغرفة كانت الضوء الناتج عن التليفزيون الملون .

عاصم بك بصوته الرقيق : لماذا لا تركز فى شغلك يا سامح وتبتعد عن الفتيات .

سامح : إنها مجرد زميلة ..... وكنت ....

عاصم بك : لولا أبو صديقك لكنت مطرود .... لا ترد علي ... أنت هنا كي تقول حاضر فقط .

سامح : أنا محاسب حاصل على بكالوريوس تجارة . ومن حقي أن أدافع عن موقفي .

يغلق عاصم بك التليفزيون فتظلم الغرفة إلا من أنوار قادمة من النوافذ الزجاجية للمطعم : هل تعمل هنا محاسب ؟ ما هو عملك فى هذا المطعم بالضبط ؟

سامح بغضب : أنا أعمل موظف استقبال . ولكني حاصل على بكالوريوس .....

يقف عاصم بك فجأة ويظهر وجهه المشوه ويصرخ فى سامح : أخرس ولا تقول بكالوريوس مرة أخري

يرتعد سامح ويقع على الأرض من الخوف بجوار الباب ويصرخ : ماذا يحدث ؟ من أنت ؟ من أنت ؟

عاصم بك : أنا صاحب المطعم .

سامح مُرتَعِبً : سوف أفعل ما تريد يا سيدي ... كل ما تريد .

يضحك عاصم بك : لا تخاف يا سامح ، اجلس على هذا الكرسي .

يجلس سامح على الكرسي ولا يستطيع أن ينظر إلي وجه عاصم بك المشوه والخوف يهز كل جسده ، ينظر عاصم بك الى التليفزيون المغلق و يقول : يظهر أنك مغفل ولكن أعتقد أنك شاب طيب ، لذا أعدك إذا ركزت فى العمل يا سامح قد أجعل منك محاسب .

سامح : محاسب هنا فى المطعم !

عاصم بك يعيد تشغيل التليفزيون مرة أخري ويقول : وقد تصبح مدير المطعم فى يوم من الايام .

سامح : أردت أُخبرك عن مدير المطعم انه رجل متكبر يتعامل بتعالي مع...

عاصم بك يرفع صوته : تظن نفسك نبيهاً أليس كذلك ؟

سامح : إنه فعلاً يتعامل معنا بتعالي وقد سمعت أنه يسرق .....

لوح عاصم بك بريموت التليفزيون ثم ألقاه فى وجه سامح صارخاً : إنه رجل أمين وشريف .

سامح : حسناً إنه رجل رائع وشريف .

أخيراً رأي سامح التليفزيون الملون المزود بريموت ، ينظر سامح إلي التليفزيون الملون ولم يهتم بكلمات عاصم بك الذي قال له : هل هذه أول مرة تشاهد تليفزيون ملون ؟

سامح يهز رأسه وينظر إلي ألوان التليفزيون وإلي الشاشة الضخمة

فقال له عاصم بك : بهذا الريموت تستطيع أن تغير كل شيء .

سامح : هل يمكن أن أخذ هذا الريموت معي إلي المنزل أريد أن أغير الكثير.

عاصم بك : أنت مرح وظريف جداً .

تخيل سامح أن عاصم بك أحب فيه روح الفكاهة فأراد أن يزيده منها .

لذا داعب سامح رأس كلب الحراسة الممدد بجوار عاصم بك قائلاً : ألم يأن الآوان أن تخبر هذا الكلب أنه متبني ، وأنه ليس ابنك .

يصرخ عاصم بك فى سامح : أنت مطرود .... مطرود .

(9)

عودة فريد إلي مصر

استقبل سامح مكالمة هاتفية فى منزل الجارة من مستشفى الدمرداش ، تفيد بأن فريد موجود فى المستشفي ، وقد توصلوا إلي رقم هاتف هذه الجارة من الأوراق التي وجدوها معه .

عندما وصل سامح مع أمه وأخواته إلي المستشفي سألوا عن الاوسطي فريد سند ، فعرفوا أنه فى احدي الغرف المشتركة فى الطابق الثاني ، وسوف يدخلون فى مواعيد الزيارة فقط .

قصدت العائلة الغرفة الموجود بها فريد ، ولم يكن فريد الذي تركهم عام ١٩٩٤ ، كانت عظامه بارزة وثيابه مهلهلة ولحيته بيضاء طويلة وشعر رأسه كثيف غزير يشبه إلي حد كبير صدام حسين .

من يومين فقط تابع سامح فى التليفزيون الأبيض والأسود لحظات القبض على صدام حسين ، وكان يتمني وقتها أن يعود أبيه إليهم سالماً بعد هذه السنوات الطويلة وخصوصاً أمريكا كشرت عن أنياب ومعدة جائعة تنهش كل ما يقف أمامها ، ما سبب خوف سامح على حياة والده.

جلست انصاف بجوار فريد وشرعت فى البكاء والعويل و بجورها بناتها يبكون ما عدا سارة وقفت صامدة صامتة . لم تشعر بأية مشاعر تجاه هذا الرجل الذي عاد بعد تسعة أعوام ، أفضل وأصعب أيام حياتها

الأيام التي أرادته أن يكون بجوراها فيها ، هي تري أنه تخلي عنهم ، حتي الأموال التي كان يرسلها لم تكن كافية ليتعلموا تعليم جيد أو يلتحقوا بوظيفة محترمة ، ما جدوي عودته الآن وقد فقدت احترامها له ومودته .

دبلوم التجارة ثلاث شهادات فى درج الدولاب حيث تحتفظ انصاف بشهادات ميلادهم ، والخطابات القليلة جداً القادمة من فريد .

لقد ضاعت سنوات الشباب على انصاف ، لقد صارت عجوز ، انصاف تبكي نفسها لا تبكي فريد ، السنوات التسعة التي حَملت هم هذه العائلة خلالها ضاعت هباء ، وانتظرت كل عام أن يعود فريد كي يعوضها عن حرمان السنوات ، ولكنه عندما عاد ، عاد لكي يكون عبئاً جديداً يضاف على كتفيها .

أحلام كانت تحب هذا الرجل الممد فى فراشه مهما كان قاسي عليها ، كانت تعرف أن قسوته ناجمة من حبه لسامح وسامح شخص يستحق أن يُحب ، كان سامح الأخ الهادئ الوديع الذي لم يعاتب أي واحدة منهن على أي فعل ، أحلام كانت تدرك جيداً أن أباها رجل طيب عادل ضحي بعمره وسنوات شبابه فى الغربة كي يعيشوا هم حياة جيدة ، أنها تعلم جيداً أنه حاول كل جهده .

هذان الرجلان هما الوحيدان الذين يسكنان قلب أحلام ، وأحدهم قريب جداً من الموت .

عبير لا تتذكر جيداً أية تفاصيل فقد كانت فتاة صغيرة جداً عندما سافر أبوها ، لذا تعلقت بأمها وهي الآن تبكي لبكاء أمها ، كانت عبير تعرف أن لها أب سيعود فى يوم من الأيام وهاهو قد عاد .

أخبرت الجارة صاحبة الهاتف جميع أهالي المنطقة عن عودة فريد ، وأن فريد البخيل مريض وقد أوشك على الموت ، وأكدت دموع انصاف وبناتها هذه الأخبار.

اعتقد الجميع أنه جمع ثروة كبيرة من سنوات كثيرة فى الغربة ، وفى قهوة المنطقة انطلقت الكثير من الأساطير عن حصول فريد على ذهب من أبناء صدام حسين فى مقابل خدمات قدمها إليهم ، وأخر يؤكد ويقسم أن صدام حسين كان مختبئاً فى نفس المنطقة التي كانت ورشة فريد بل كان مدخل المخبأ باب ورشة فريد ، وكان هناك قصة رفضها الجميع أن فريد عمل مع المخابرات الأمريكية وهو من دلهم على مخبأ صدام حسين ، لا يمكن لعراقي أن يخون صدام ويدل عليه وجميعنا نعلم كم يعشق فريد المال ، أنه يحب المال أكثر من أطفاله والدليل أنه تركهم عشرة سنوات .

نفي أخر كل هذه الأقاويل بحجة أن فريد مجرد جاهل لا يستطيع أن يتحدث الانجليزية ، ولو أعطاه الأمريكان ال ٢٥ مليون دولار لطلب منهم ٢٥ مليون جنيه مصري ، ولكن بالرغم من أنه جاهل إلا أنه ميكانيكي وهذه مهنة مربحة جداً فى العراق وهو بخيل ، يدخر كل قرش وبالتأكيد لديه ثروة .

عمال الورش الشبان المجاورين لورشة فريد بدءوا بزيارات دورية ومستمرة للأوسطي فريد فى المستشفي ولأسرة الأوسطي فريد ، كانت إنصاف ممتنة جداً وقالت لأسرتها : شبان مخلصين .

سامح : الدنيا مازالت بخير ، إنهم شباب محترمين لم يرفع واحد منهم عينيه إلي واحدة من البنات.

كانت إنصاف تلاحظ نظرات الشبان المستترة والخجلة إلي بنات الأوسطي فريد وقد فحصتهم إنصاف بنظرات مختلسة لتنتقي منهم عريس لأحلام ، لذا أمنت على كلام سامح : فعلاً شباب مؤدب

سارة : هل تصدقون ما يحدث ؟ لماذا هذه الزيارات الآن ؟ لماذا تذكروا الاوسطي فريد الآن ؟

إنصاف بحده : الأوسطي فريد !!!!

سارة : أقصد أبي ، لماذا الآن تذكره كل هؤلاء الناس أهالي المنطقة وأصحاب وعمال الورش .

أحلام : ماذا تريدين أن تقولي ؟

سارة : لماذا لم يساند منهم أحد عندما بيعت ورشتنا بالمزاد العلني؟

إنصاف : كانوا مجرد فتية صغار ، ولم يملكوا شيئاً وقتها يا سارة . هيا نذهب إلي المنزل ، أبوكم لا يشعر بنا .

على باب منزل وقف المعلم حمودة فكهاني المنطقة بجواره ابنه محمود وقدر ارتدي محمود بدلة رسمية وأمسك في يديه علبة الجاتوة فهمت

إنصاف مباشرة سبب الزيارة بمجرد النظر إليهم ودعتهم للدخول على الفور .

المعلم حمودة : جئنا لخطبة ابنتكم سارة .....

ينظر إلي ابنه محمود ويقول : أليس هذا اسمها يا محمود ؟

يهز محمود رأسه بالإيجاب .

تتحول الابتسامة التي كانت تغطي وجه إنصاف إلي عبوس وتجهم : ترد فى حسم ولكن لابد أن تتزوج أختها الكبيرة أحلام قبلها .

المعلم حمودة : إذن أنا أخطب منك أحلام لإبني محمود وأنت تعلمين خلقه ودينه .

كانت إنصاف تعلم دينه ، فعندما كان فريد يرسل المال إليهم كانت تشتري فاكهة من محمود . وكان لابد أن يسرق فى الميزان ، وكانت تغضب كثيراً وقتها ولكنها بررت هذه السرقة الآن بأن الحياة باتت صعبة ولابد للتاجر أن يعوض ما يتلف عنده من فواكه .

إنصاف : محمود ابني مثل سامح ، وأبو أحلام مازال على قيد الحياة ولا بد أن أخذ رأيه .

(١٠)

سامح وسمير

حافظ سمير على صداقته بسامح بالرغم من نجاح سامح وتخرجه من الجامعة ، إلا أن شيءً كان يربط الشخصين بالرغم من اختلافهم ، التزم الصديقان على اللقاء كل أسبوع أمام كورنيش النيل ، وبعد أن طُرد سامح من عمله صار ينتظر هذا اللقاء الأسبوعي على أحر من الجمر .

كان سمير يتحدث طوال الوقت بلا توقف ، يحكي عن الحياة الجامعية وعن الطلبة الذين صاروا معيدين و كانوا فى نفس عُمر سامح وسمير والجلوس فى الكافتيريا مع أصدقاء لا يشعر نحوهم بأي شي ، وعن زميلتهم التي كان سمير مرتبط بها وفضلت أن تتزوج ابن خالتها المسافر لإحدى دول الخليج ، ويضحك سمير قائلاً : هي الآن فى مكان أفضل !!!

يحاول إخراج سامح عن صمته : أليس كذلك ؟

سامح : بل أنت أفضل يا سمير ..... لديك من الأموال أكثر مما قد تجمع هي وزوجها طوال حياتهم .

سمير غاضباً : ليست أموالي ، انها أموال أبي وسوف أعيدها إليه فى يوم ماً .

سامح : كنت اعتقد أني غير حاسم ومتردد واليوم أنا متأكد أني متردد .

سمير فى بلاهة : كيف أنت متأكد انك متردد !!!

سامح : أريد أن أعود إلي العمل فى مطعم عاصم ثانية .

سمير ضاحكاً: ألم تقول أنه يشبه الوحش وأنك مرعوب منه ، هل صرت مثل الجميلة والوحش وتريد أن تروضه !! أنا لم أر الرجل فى حياتي ، وعندما سألت أبي عنه قال أنه لا يعرف قصته .

سامح : هل تستطيع أن تتحدث مع والدك ليقنع عاصم بك بعودتي إلي العمل .

سمير : أنا لا استطيع ولكنك أنت ستفعل .

يخرج من جيبه موبيل حديث ، عندما يراه سامح : هل به كاميرا فعلاً ؟

سمير : به كل شيء تستطيع أن تتخيله ومالا تتخيله ، ألن تشتري واحد لك ؟

سامح : أنا أريد أن أُجهز أختي . وأنت تقول موبايل !!

يتصل سمير بأبيه ويجعل سامح يتحدث معه ، كان أبو سمير يتعاطف كثيراً مع سامح لذا وعده لو ساعد سمير على النجاح سوف يساعده على الرجوع إلي عمله .

كان عاصم بك رجل طيب القلب شعر أنه أخطأ حينما تساهل مع سامح ، وهو من شجع سامح على الخطأ ، لذا ندم حينما طرده من العمل ، وشعر بأنه ظلم سامح لطرده لمجرد تحديقه بزميلته .

(١١)

البالون

كانت ابتسامة النصر تلمع على وجه سامح وهو يقف محدقاً إليها وهي تقدم الطعام للزبائن ، كانت هي الأخرى تختلس النظرات إليه ، مما جعلها تخطئ فى رقم المائدة المطلوب خدمتها . مما أصار غضب الزبائن الذين استدعوا مدير المطعم ، الذي حل الأمور ببساطة .

طلبت الفتاة من مدير المطعم أن يجعل سامح يتوقف عن التحديق بها ، هذا الأمر هو ما جعلها تخطيء ، وقالت له أنه لا أحد يشعر بالفقراء أمثالها ويكفي ما تتحمل من عمل شاق ، فى هذه المرة طلب مدير المطعم من عاصم بك أن يطرد سامح ، لأنه لم يتعلم الدرس .

استدعي عاصم بك سامح إلي مكتبه مرة أخري وكانت تشبه المرة الأولي .

بادره عاصم بك بالقول : هل تعلم لماذا أعدتك إلي العمل فى المطعم ؟

سامح فى بلاهة : لأني ساعدت سمير على النجاح والتخرج .

عاصم : أنا لا أعبأ بسمير ولا أعرفه ، لقد أعدتك إلي العمل لأنك تحتاج إلي الراتب ، لأن أبوك فى المستشفي وأختك مخطوبة وتريد شراء جهازها ، هذا ما قاله لي أبو سمير .

يضع سامح رأسه فى الأرض ويقول : أنت تعايرني يا عاصم بك !!

ينفعل عاصم بك : هل أنا صديقك ؟ أنت موظف عندي وأنا لا أريد مشاكل هل تفهم وهذه البنت التي تشاغلها لو أني أعلم انك قادر على الزواج بها كنت زوجتك ، لكنك غير قادر ، وهذه البنت عمل أبوها معي ومات معي .....

يضحك سامح : مات معك !!!

عاصم بك : هل تعلم أنك أكثر انسان تحدثت معه منذ تشوهت .

سامح : كيف تشوهت ؟

عاصم : هل أحكي لك كيف تشوهت وأطردك بعدها .

سامح : بل أخبرني كيف تشوهت واجعل مني محاسباً فى المطعم .

عاصم : بل سأحكي لك وسوف أنقلك إلي وظيفة سوف تجعلني أنا أضحك كل يوم .

سامح : وأنا موافق .

عاصم بك : فى فندق بمدينة الأقصر حجزت لأسرتي أسبوع فى إجازة منتصف العام ، زوجتي وأطفالي الأربعة ولدان كبيران قريبان من سن الشباب وفتاتان صغيرتان احدهما رضيعة على كتف أمها ، وفى الصباح الباكر قبل شروق الشمس أقلت سيارة الشركة أفراد أسرتي إلي موقع إقلاع البالون ، كنت هناك فى انتظارهم مع الطاقم . لقد عملت فترة من حياتي كطيار مدني وجزء من حياتي طيار للبالون .

سامح ضاحكاً : منطاد ؟

عاصم بك : بالون وليس منطاد يا جاهل لا يوجد فى مصر مناطيد . ولا تقاطعني مرة أخري .

سامح : حسناً ، من فضلك أكمل أريد أن أعرف كيف مت !!

عاصم بك : أنت حيوان غبي .

سامح : أخبرني وبعد ذلك أنا أقبل أن اعمل لك أي شيء .

عاصم بك : تم تركيب آلة تضخ الهواء فى قماش البالون ، وتركيب أسطوانات البيوتان الممتلئة ، واشتعل الحارق لتسخين الهواء داخل البالون .

سامح : أنا غبي ؟! أنا من يشعل النار فى قماش .

عاصم : ليس قماش مثل ما ترتدي تحت سروالك ، ولكنه شرائح من مادة النايلون التى تتميز بخفتها وشدة تحملها وارتفاع درجة انصهارها وانعدام نفاذيتها للهواء، والجزء السفلى من الغلاف يكسى بمادة خاصة مقاومة للاحتراق لتفادى اشتعال البالون بأثر اللهب كل ذلك تم حياكته بماكينات خاصة وبأيد عمال مهرة ومدربين ومعتمدين من هيئة الطيران . دخلت أسرتي أولاً فى المكان المخصص للركاب بالسلة ، وبعدهم الركاب الآخرين ، وهتف الطاقم الأرضي : البالون جاهز توكل على الله ، فهمت أن كل شيء على ما يرام ، قمت بتسخين الهواء بشكل تدريجى للطيران والارتفاع بالبالون. تحرك البلون فوق الأقصر ليظهر روعتها وجمالها ، كانوا فى غاية السعادة وزوجتي تنظر إلي وكانت خائفة من الارتفاع الذي

وصلنا إليه ، لكنها نست الخوف عندما رأت السعادة فى عيون أطفالنا ، كانت أسرع رحلة تنتهي ، اخترت مكان بالقرب من الأراضي الزراعية وقررت الهبوط بالبالون وكانت سيارات الشركة بالأسفل تنتظر البالون عند الهبوط لتقل الركاب للعودة لأماكن إقامتهم.

صمت عاصم بك وبدأ يبكي : أنا لا استطيع أن أكمل يا بني . اذهب والتزم بعملك فقط .

سامح : لا استطيع أن أتركك على هذه الحالة .

عاصم بك : لماذا ؟

سامح مبتسماً : حتي اعرف نهاية القصة .

عاصم بك : أنت أبشع مني يا سامح .

سامح : أنت لست بشعاً بدرجة كبيرة يمكنني أن أزوجك جدتي ولكنها ماتت من عشرات السنوات .

عاصم بك : أنا لا أعلم لماذا أشفق عليك ؟

سامح : لأنك رجل طيب وستكمل لي قصة موتك .

عاصم بك : نظرت من البالون إلي الطاقم الأرضي وألقيت إليهم حبل التوجيه واستمررت فى النظر إلي الأرض واقفاً على حافة السلة ، فإذا بحبل التوجيه يقطع خرطوم الغاز المتصل بموقد المنطاد ، مما أدى لاشتعال النيران به ، فتحت جهنم في أقل من ثواني قليلة تشوهت

أجساد كل من فى البالون ثم بعدها بثوان لم تتجاوز الدقائق قتلتهم النار، شاهدت عائلتي تطهي أمامي .

سامح : أنا لا أجد ما أقوله ؟

عاصم بك : حاول أن تقول أي شيء مرح كما كنت تفعل دائماً .

سامح مبتسماً : بعد أن رأيت أسرتك تطهي تريد أن تضحك ، اذهب واقتل نفسك أفضل .

عاصم بك : ألم أقل لك أني ميت ، وأنت صرت Steward ،

سامح : ماذا تعني هذه الكلمة ؟

عاصم بك : ستعلم غداً من مدير المطعم .

(١٢)

المطبخ

ظهر سامح فى اليوم التالي فى مدخل المطعم وهو فى نفس ملابسه الرسمية التي تخص الاستقبال ، عندما رآه مدير المطعم سأله : لماذا مازلت ترتدي الملابس الرسمية الخاصة بالاستقبال ؟

سامح مبتسماً: هل أخبرك عاصم بك بأني أصبحت Steward ؟

مدير المطعم : أخبرني أمس قبل أن يذهب إلي البيت ، هل أردت يوماً أن تحل محلي !!! هل تري تلك الدراجات انزل إليها ولا أري وجهك أبداً بعد الآن هل تسمعني ؟

سامح فى بلاهة : هذه الدرجات تؤدي إلي المطبخ هل مكتب الـ Steward فى المطبخ ؟

مدير المطعم : أنت مازلت وستظل مغفل .... انزل ولو صعدت أو رأيتك فى صالة الطعام لأي سبب سوف أطردك ولن تدخل هذا المكان مرة أخرى .

سامح يتمتم: وأنا أيضاً سعيد لأني سأعمل فى مكان بعيد عنك ، ولن أري وجهك مرة أخري .

ينزل درجات السلم ، يقابله رائحة الطعام والكمون والكثير من البهارات التي لا يعرف أسمها والحرارة الشديدة الناتجة من الأفران والمواقد الكبيرة التي تنفث الحرارة والأبخرة ، وأرضية المطبخ لزجة بعض الشيء لوجود الزيوت والدهون على ألوح الأرضية الباركيه . حوائط المطبخ كلها من الفسيفساء الصغيرة مكونة أشكال للفواكه والخضروات ، أكبر مطبخ رآه سامح فى حياته كلها كان على شكل حرف U وهناك طاولة ضخمة تتوسط هذا المطبخ علم منهم فيما بعد أنهم يسمونها الجزيرة ، يقف عليها ثلاثة طباخين منهمكين فى أعمالهم بينهم كبير الطهاة الذي عرفه من قبل عندما طلب أحد الزبائن مصافحة كبير الطهاة ومناسبة أخري عندما صنع تورتة كبيرة جداً ، وحملها بنفسه إلي المائدة المخصصة لها . شعر سامح من الوهلة الأولي بأن الشيف قاسي بعض الشيء فلم يكن وجهه مبتسماً عندما رآه وهو حاملاً التورتة وكانت ملابسه التي يرتديها فى المطبخ تشبه ملابس ممرض فى مستشفي ولكن أزراره على الجنب نظيفة وغير مجعدة تدل على الانضباط والصرامة وعلى رأسه قبعة بيضاء كبيرة ميزته عن باقي الطهاة .

توجه سامح إلي كبير الطهاة وكانوا جميعهم يقولون له شيف ولم يجرؤ أحد على ذكر اسمه وقال له : اسمح لي أن أقدم نفسي ؟ أنت رأيتني كثير وأنا فى الاستقبال واليوم جئت كي أعمل Steward معك هنا فى المطبخ .

الشيف : تشرفنا ! عندك أدوات غسيل الأطباق فوق الحوض .

سامح : أنت لم تفهم أنا أسألك عن مكتب الـ Steward ؟

الشيف : الـ Steward لا يجلس على مكتب بل يفعل كل ما يطلب منه أنت الآن لديك ثلاث مديرين فى هذا المطبخ واقفون أمامك على الجزيرة عليك أن تنفذ كل ما يطلبونه ، ابدأ واغسل بسرعة قبل أن ....

أخيراً فهم سامح ما حدث له واستمر قائلاً : أنت لم تحاول أن تستمع لما أقوله ... وتحتقرني .... لكن هذا لا يمنع من أن أبدأ فى الغسيل ؟

يخلع سامح ملابسه ويرتدي ملابس قديمة ويرتدي فوقها مريلة المطبخ ويتناول أول طبق ويضعه فى الماء ، كان الماء ساخن جداً فأسقط سامح أول طبق يمسك به عندها صرخ فيه الشيف : واضح انك كسول كما قاولوا عنك ، إذا كسرت طبق آخر سوف اكسر عنقك .

سامح : لماذا هذه الأطباق مصنوعة من الخزف وعندكم أطباق زجاج أيضاً ؟

الشيف متهكماً: عندما تمتلك مطعم اشتري أطباق خشبية أو حديدية .

يُكمل سامح غسيل الأطباق ويُكمل الطهاة حديثهم وأيديهم تعمل فى تقطيع وتقشير وتنظيف الخضروات واللحوم والأسماك وحديثهم لا يتوقف ، كانوا يتباهون بأسماء الفنادق والمطاعم والأجنبية التي خدموا فيها وتعلموا وتدربوا على أشهي وأغرب أنواع الأطعمة واحتفظ كل منهم بوصفات تلك الأكلات كسر عسكري لا يبوح به .

تذكر سامح عندما كان يذهب مع أمه إلي إحدي الجارات ويجلس معهن فى المطبخ ، كن يتحدثن مثل هؤلاء ولكن ليس بنفس المستوي من الحرفية ولا بنفس المستوي من الغرور.

عندما ينتهي أي طاه منهم من تقشير البطاطس أو تقطيع البصل واللحم وتنظيف أحشاء الدجاج والسمك كان يأمر سامح بحمل هذه البقايا بسرعة خارج المطبخ .

أول يوم عامل لسامح كـ Steward كان أشبه بالكابوس لأن البالوعة الرئيسية فى المطعم قد انسدت وعندما طلب منه تسليكها لم يستطيع أن يتكلم تلاشي صوته ، وبدأ العالم حوله بالذبول ويُفضل سامح أن يُسلك البالوعة أفضل من أن يخسر الراتب هذا الراتب بالرغم من قلته هو مصدر رزقهم الوحيد بعد مرض أبوه وتوقف الحوالات النقدية التي كان يرسلها إليها ، بالرغم من قلة هذه الحوالات وضائلتها إلا انها أنقذتهم من الجوع وسؤال الناس .

خطط سامح أنه سيطلب قرض من عاصم بك بضمان المرتب وبهذا القرض يستطيع أن يعطيه مقدم لأحد المحلات الموجودة فى منطقتهم لتوفير جهاز العروس ، أحلام يجب أن ترفع رأسها أمام محمود ابن الفكهاني بأخ غير عاطل لن يُطرد سامح ستحمل نار الأفران والمواقد والقاذورات وأوامر هؤلاء سيتحمل كل شيء من أجل أمه وأخواته وأبيه المريض فى المستشفي .

بعد ان انتهت أعمال التنظيف خرج سامح وهو مغطي بـ الأوساخ والقاذورات ، من الباب الخلفي للمطبخ . وقبل أن يصل إلي الشارع سمع صوت الشيف ينادي عليه : تعالي لتنزل الخضار من على سيارات الخضار.

سأل سامح نفسه لماذا سمح لحياته أن تأخذ هذا المسار الخاطئ ؟؟

بكي سامح بشدة ، وتأثر الشيف ببكاءه فربت على ظهره ، وقال له : عندما تخرج من هذا المطبخ ستتعلم الكثير ويجب عليك أن تتعامل مع الأشياء الصغيرة والبسيطة أولا حتي تستطيع أن تُدير الأمور الكبيرة .

فى اليوم التالي توجه سامح مباشرة إلي المطبخ من الباب الخلفي وهو يجر قدميه فى حزن ويأس ، حيا زملاؤه الطهاة واتجه مباشرة نحو الحوض يغسل الأطباق المتبقية من الأمس .

شعر الشيف بشعور سلبي يملأ المطبخ فأمر الجميع أن يتوقف عن الأعمال التي يقوموا بها وقام فيهم خطيباً : الطعام الجيد هو ما يجعل البشر سعداء ، الطعام الجيد هو مكافأة لكل شخص تعب وكافح طوال اليوم ، الطهاة أمثالنا أنواع ، هناك نوع لا يبالي إن كان الطعام جيد أو رديء فقط يؤدون عملهم بلا مبالاة وقد يقصرون فى النظافة ويتكاسلون ويختصرون الخطوات ليحصلوا على منتجهم النهائي بسرعة ، هم أنفسهم لا يقبلون أن يأكلوا منتجهم هذا .

وهناك نوع يجب ان يسعي للحصول على مديح الناس بأطباق قد قام غيرهم بإعدادها ، فالطبق الواحد فى هذا المطبخ شاركنا كلنا فى إعداده بداية من سامح إلي الشيف الرئيسي وليس شخص واحد .

نحن فى هذا المطبخ أسرة واحدة وأنا والدكم والمسئول عنكم .

سامح فى لا مبالاة : أريد أن أخذ اليوم إجازة لقد تعبت كثيراً فى حمل الخضار بالأمس .

الشيف : ومن ترشح للقيام بأعمالك ؟

سامح : أي شخص . أنا والدي مريض فى المستشفي وأريد أن اطمئن عليه .

الشيف : هذا يومك الثاني فى المطعم يا سامح وتطلب إجازة .

(١٣)

أسرار فريد

تسابق الُخطاب إلي منزل الأوسطي فريد أملاً فى أن ترث احدي البنات هذا الرجل البخيل جداً ، كان أهالي المنطقة يتنافسون على زيارة فريد فى المستشفي ، كان فريد فيما يشبه الغيبوبة بنصف وعي يري الخيرات التي يحضرها جيرانه وأصدقائه القدامي ، ونفسه تتحسر على عجزه عن تذوقها ، كم بخل على نفسه كثيراً من أجل أن يعود مرة واحدة ويتمتع بكل السبائك الذهبية التي كان يشتريها من العراق والتي دفنها فى ورشة القنطرة ، عندما دخل الأمريكان العراق فى ٢٠٠٣ م ، فتشوا كل مكان عن صدام وأبنائه ولم يتركوا أي مكان وخصوصاً الأماكن النائية مثل ورشة القنطرة .

استعمل الأمريكان أجهزة لرصد الأنفاق وكل شيء تحت الأرض ، وعلموا بوجود الذهب تحت ورشة القنطرة ، سبائك فريد وتضحية إنصاف وأبنائها راحت إلي جيوب الأمريكان .

لم يتحمل فريد رؤية أمواله تُصادر ، لم يتحمل رؤية مستقبل أبنائه يُهدم وينتهي إلي الفقر بعد كل التضحيات والغربة ، لم يتحمل كل هذه

الكوارث وأصابته الحالة التي جاء بها إلي مصر ، هو نفسه لا يعلم كيف وصل إلي مستشفي الدمرداش ولا أحد يعلم .

انتظر فريد كل يوم الموت ، لكن الموت تأخر عليه ، لا يستطيع أن يُكمل حياته بلا سبائكه الذهبية

المعلم حمودة الفكهاني لن ينتظر حتي يُشفي فريد ، لأن كل منهما يعلم حقيقة الأخر وقد يُعارض فريد زواج أحلام من محمود ابنه ، لذا تعجل فى أمر الزفاف بالرغم من عدم قدرة سامح على تجهيز أخته ، اضطر المعلم حمودة أن يدفع عنه الكثير فى التجهيزات ، حتي يستطيع أن يُتم صفقة الزواج .

كان المعلم حمودة الفكهاني صديق لفريد يجلس معه فى ورشته القديمة ، كان فريد يتهكم على المعلم حمودة لأنه يعمل فى مهنة أورثته الدعة وقلة الحركة بينما هو نشيط وصحيح البدن، لم يطلب له فريد كوب شاي أو عرض عليه أن يتناول أي شيء فى الورشة وكان فريد يقول له :

أنا لم أدعك للجلوس معي فى ورشتي من أجل ذلك ، إنما دعوتك لأننا أصدقاء وليس بيننا أي منفعة دنيوية ولا شاي ولا قهوة كل شيء لله .

كان المعلم حمودة الفكهاني داهية ذكي ، يصاحب فريد وهو يعلم جيداً أن هذه الصداقة سوف تعود عليه يوماً بفائدة كبيرة ، لعلمه ببخل فريد وحرصه على تجميع المال وكان المعلم حمودة الفكهاني يرد على فريد رد دبلوماسي قائلاً : ليس للبدن حق فى الراحة إلا بعد التعب ،

وليس للبطن حق فى الطعام إلا بعد الجوع ، وأنا عندما أزورك ، أزروك لله وأنا شبعان البطن مرتاح الجسد .

تم الزفاف وتزوجت أحلام من محمود الفكهاني وكان محمود شخص طيب لا يشبهه أبوها ولا أخوها ، كانت له شخصية مختلفة عن الرجلين الوحيدين التي عرفتهما . ليس للمال وزن أمام الحب ولكنه غالباً ما يرجح كفة النصيب على الحب .

ترك محمود الفكهاني رقم هاتف منزله الجديد بدلا من منزل الجارة المتطفلة ، لذا عندما رن الهاتف وردت أحلام وعلمت أن أبيها يلفظ أنفاسه الأخيرة ، سارعت إلي أمها و أختيها وأرسلوا إلي سامح ليأتي من المطعم ولما علم المعلم حمودة الفكهاني هرع إليهم وجلسوا جميعهم حول سرير فريد .

المعلم حمودة : يا فريد هل تسمعني ؟

يهز فريد رأسه بأنه يسمع .

المعلم حمودة : أين أموال الغربة ؟

يهز فريد رأسه هزات عنيفة وكأنه يريد أن يتكلم .

سامح : هل توجد أموال يا أبي ؟

يومئ فريد بالإيجاب .

المعلم حمودة : هل هي كثيرة ؟

يومئ فريد بالإيجاب .

المعلم حمودة : هل هي ملايين ؟

يومئ فريد بالإيجاب .

سامح : أين هذه الملايين يا أبي .

تصيح فيهم عبير الابنة الصغيرة : يكفي دعوه يستريح هو غير قادر على الكلام .

سامح : هذه الملايين سوف تريحنا بقيت حياتنا يا عبير.

عبير: صحة أبوك وحياته أهم من أية أموال .

سامح : أنت لا تفهمين شيء .

تصرخ فيهم إنصاف : يكفي . وتتوجه بالكلام إلي فريد : أين المال يا فريد؟

سارة : احضروا قلم وورقة واجعلوه يكتب أي شيء ، هو يستطيع كتابة اسمه وبعض الحروف قد تدلنا على المكان .

يمسك فريد القلم بيد مرتعشة ويبدأ يكتب ..... أ ..... م ..... ر

لا يستطيع أن يكتب أكثر ويسقط القلم من يده وكل نفس من أنفاسه تردد أمريكا .... أمريكا .

لم ولن يعلم أحد حتي ابنه الوحيد سامح الذي ألح عليه حتي وهو فى فراش الموت أن يخبره عن حصاد سنوات الغربة ، أين وضع أمواله أين خبأ كنزه ؟

لأن لسانه لم ينطق بحرف مجرد هزات وتحريك للشفاه والرأس لم تكفي لتعبر عن كلمة .

لكن المعلم حمودة اطمئن و تأكد من وجود أموال ولا بد أن تظهر فى أي يوم .

أصبح سامح الآن بلا سند فى الحياة وأنه صار وحيداً وفى عنقه أخوات بنات ولا يوجد أية أموال لينفقوها سوي مئات الجنيهات التي يأخذها من عمله فى المطبخ ، يجب أن يحافظ على عمله فى المطبخ ولا أمل فى أن يجلس يوماً على مكتب ..... الفرج مات اليوم .... وليس فريد .

(١٤)

سامح موظف

أسعد لحظات حياة سامح حين قدم استقالته إلي عاصم بك ، طلب منه عاصم بك أن يستلمها لمدير المطعم أو إلي الشيف ولكنه حرص على مقابلته شخصياً ، لقد تعلم الكثير فى المطبخ ولقد علمه المطبخ أن ينسي شهادته وتعليمه علمه المطبخ أن يقول نعم بلا مناقشة علمه المطبخ الخوف والرعب على لقمة الغد ، علمه المطبخ أن يصبح جبان أكثر مما كان ، ولكنه اليوم فى يده خطاب التعين من القوي العاملة ، أخيراً وبعد سنوات من التعب سيجلس على المكتب ، أخيراً وبعد سنوات سيرتاح من حرارة الأفران والمواقد ورائحة البصل والثوم ..... أخيراً سيرتاح .

دخل على عاصم بك مكتبه قائلاً : لقد دفعت ثمن غالي جداً من أجل أن أعرف قصتك .

عاصم بك : وهل تعلمت شيء منها .

سامح ساخراً : تعلمت تنظيف الأطباق والأرضيات وتقشير البصل وحمل الخضار و .....

عاصم بك : تريد أن تقول انك لم تتعلم شيء وأنك غاضب مني ؟

سامح : غاضب كلمة مهذبة ومؤدبة ، ولكن لا داعي أن نفارق بعضنا ونحن نكره بعض ...

عاصم بك صارخاً: يا ولد أنا صاحب الشغل ولست زوجتك .... اذهب ولا ترني وجهك ثانية .

سامح : على الأقل لي وجه طبيعي وليس مشوهه .

عاصم بك غاضباً : أخرج من هنا يا مجنون .

سامح : قبل أن أخرج يجب أن توقع لي على قبول الاستقالة .

عاصم بك : أقبل استقالتك ..... ويوقع له بغضب .

يتوجه سامح وفى يده خطاب القوي العاملة إلي أكبر مكتب البريد الرئيسي فى منطقته ويقابل المدير الذي ينظر إلي الخطاب بدهشة ويقول : أنت محظوظ يا ولدي أنت فى قرية قريبة جداً من منطقتك يمكنك أن تركب قطار الساعة الخامسة والنصف صباحاً كل يوم .

سامح : هكذا محظوظ !!

مدير المكتب : طبعاً ، كل زملائك الجدد يعملون فى الصعيد واضطروا أن ينفقوا كل رواتبهم على السكن ولا يرون أهلهم إلا فى الأعياد .

سامح : وكيف يمكنني أن أعمل معكم هنا فى هذا المكتب ؟

مدير المكتب : انظر إلي كل هؤلاء الموظفين والموظفات لقد شابت رؤوسهم كي يعملوا هنا .

سامح : الأمر لله سأذهب فى الغد إذن .

مدير المكتب مبتسماً : لا تنسي القطار يخرج من المحطة الساعة الخامسة والنصف صباحاً .

ركب سامح القطار الساعة الخامسة والنصف صباح ، ولم يصل القطار قبل ساعتين كانت المحطات متقاربة جداً من بعضها يفصل بينها عشر دقائق تقريباً من السير بسرعة القطار المتوسطة ولولا وجود هذه المحطات الكثيرة والتوقفات التي لم يري سامح لها أي داع لوصل القطار فى أربعين دقيقة فقط ، لكنه كان محظوظ بالوصول الساعة السابعة والنصف فلم يكن مكتب البريد قد فتح بعد ، لم ينسي سامح أبداً رائحة الصباح ذلك اليوم وتنفس الزروع والندي على الأشجار فى طريقه الترابي .

شقة قديمة مفتوح بها باب لها على الشارع مباشرة مكتوب عليه مكتب بريد أجرتها الحكومة من سنوات طويلة لهذا الغرض . فتح الباب المغلق رجل في أواخر الخمسينات قد اقترب كثيراً من سن المعاش ، أدرك وقتها سامح لما تم تعينه ، تلهف سامح كثيراً ليري وجه الرجل الذي سيكون عليه بعد عشرات السنوات .

نحيف ضئيل تتدلي من فمه سيجارة أوشكت أن تحرق شفتيه ولكنه لن يفرط فيها بهذه السهولة ، يرتدي ملابس كالتي كان يرتديها ممثلي السبعينات ولكنها مازالت على حالتها .

سامح : صباح الخير ... اسمح لي أن أقدم لك نفسي .

الرجل ينظر إلي سامح من رأسه إلي قدميه ويقول : لا توجد مسابقات للتعين لو كنت تبحث عن التعين وصرف المعاشات يوم ١٠ فى الشهر لو كنت ستقبض لوالدك أو والدتك ، والخطابات مازالت فى المكتب لم أفرزها بعد ، ولا يوجد أموال ولا طوابع ستصل فى قطار الثانية عشر ، فلا داعي لأن تقدم نفس .

سامح كأنه لم يسمع أي شيء يقول : أنا موظف جديد فى هذا المكتب واسمي سامح .

الرجل : لماذا لم تقول هذا أولاً بدلاً من المقدمات ،!! ادخل اجلس على المكتب المعدني .

لم يصدق سامح وقع هذه الكلمة على أذنيه ، أخيراً سيجلس على مكتب بعد كل هذه السنوات ، المكتب المعدني موجود فى الصالة الكبيرة بجوار الباب مباشرةً تكدست الأكياس المجاورة له برسائل البريد وانبعثت منها روائح الصمغ والورق .

ويوجد مكتب ثاني فى غرفة بابها خشبي ضخم وحمام ومطبخ متهالكين ولا يوجد بهما أي شيء ، واضح أن هذه الغرفة تخص هذا الرجل الشاحب .

دخل الرجل وكان يحمل فطور له ولسامح وقال له : أنا لم أرحب بك ، أنا محمد جمال ثابت أعمل فى هذا المكتب من ثلاثين سنة ، وجلس هنا قبلك من أسبوع بالضبط شاب فى مثل عمرك وتناولنا الفطور معاً كما سنفعل أنا وأنت الآن وقد تطاول علي هل تعلم ماذا فعلت به ؟

سامح يقلب فى الطعام ويرد بعد أن أخذ قضمة كبيرة : ماذا ؟

محمد ثابت : لقد نقلته .

سامح : أنا لا يمكن أن أتطاول عليك ، فأنت فى عمر والدي رحمة الله عليه .

محمد ثابت : وأنا سوف أعلمك كل شيء بداية بالطوابع البريدية و الحركات المالية والتوفير وكل شيء فى هذا المكتب ستتعلمه فى يومين ولن أبخل عليك بمعلومة لأنك من الواضح شاب مهذب .

سامح : وأنا شاكر جداً وممتن ، وأريد أن أعرف ما هي واجباتي فى هذا المكتب بالضبط ؟

محمد ثابت : كل شيء ، أنا وأنت وهناك شخص ثالث من أهل القرية يعمل كساعي للبريد ولكنه اليوم مشغول فى أرضه ، الرسائل والخطابات يمكن أن تنتظر لكن الزروع والثمار لن تنتظر ، أليس كذلك ؟

سامح : طبعاً لن تنتظر ، ومن يقوم بعمله إذا تأخر لمدة أكثر ؟

محمد ثابت : أنت ، أنت ستقوم بعملي فى حالة عدم وجودي وأنا سأقوم بعملك فى حالة عدم وجودك .

وهاهو العمل قادم إليك ... هذا الرجل يعمل فى السوق كل أسبوع يأتي ليضع خمسين جنيه فى دفتر التوفير سوف أعلمك كل شيء .

بعد أن قام سامح بعمل إجراءات الإيداع طلب منه محمد ثابت أن يحمل أكياس الرسائل والخطابات إلي المدرسة الابتدائية وهناك سوف يقابل أخو ساعي البريد فيعطيهم له .

سامح : وهل هذا من نطاق عملي ؟ أنا ليس لي شأن بالرسائل والخطابات .

محمد ثابت : أنت تعمل فى مكتب بريد ، وأنت ملزم بالقيام بهذه الأعمال وأي تقصير سيؤدي إلي اتخاذ إجراءات تأديبية ضدك أو إلي إقالتك .

حمل سامح كيس البريد الكبير وانتظر بجوار المدرسة الابتدائية ، انتظر كثيراً جداً ، تسرب الضجر والملل والغضب إلي روح سامح التي كانت سعيدة من دقائق ، فجلس على درج مقابل للمدرسة متظاهراً بأنه يقوم بما يقوم بفرز وتصنيف الخطابات .

أرادت أن تدخل إلي البيت وكان هو يجلس على الدرج ، كان لباسها المحتشم أكثر ما جذبه إليها كانت ممتلئة مثله ولكنها أكثر سُمرة منه ولكن وجهها بالرغم من السُمرة جميل ، تعلقت عيون سامح به ولم يستطيع إبعاد عيونه ، إلي أن جاء أخو ساعي البريد وأخرجه من أوهامه قائلاً : مدرسة فى المدرسة الابتدائية وحظها قليل .

سامح : من أنت ؟

أخو ساعي البريد : أنا أخو ساعي البريد ، لقد عرفتك عندما رأيت أكياس الرسائل معك أنت الموظف الجديد .

سامح غاضباً : لماذا تأخرت علي هكذا ؟

أخو ساعي البريد : نحن نعمل فى الحقل وأخي يقوم بتوزيع هذه الخطابات بعد المغرب بعد أن ينتهي من عمله فى الحقل .

سامح : أخوك موظف حكومة ويجب أن يلتزم بواجباته .

أخو ساعي البريد مبتسماً : عندما تتسلم الراتب ، سوف تأتي لتعمل معنا فى الحقل .

يواصل سامح النظر إلي بيت المُدرسة .

ساعي البريد : لو كان غرضك شريف يمكن أن أكون واسطة خير.

سامح : ولا خير ولا شر ... أذهب الآن .

طريق العودة إلي المنزل كان شاقاً وطويلاً جداً ، أغلق هو و جمال ثابت المكتب فى الساعة الثالثة بعد الظهر والقطار العائد إلي منزل سامح سينطلق فى السابعة مساءاً وهو وقت كثير جداً جداً أين سيمكث أربع ساعات كاملة فى انتظار القطار لا يوجد فى هذه البلدة سوي محطة صغيرة بها بضعة مقاعد أسمنتية غير مريحة اضطر أن يجلس عليها هذه الساعات الأربع ووصل إلي منزله فى الساعة التاسعة والنصف وكان عليه أن ينام مبكراً حتي يلحق بقطار الساعة الخامسة صباحاً ، كان شعوره أفضل بكثير عندما فكر بالاستقالة من هذه الوظيفة ويعود إلي المطبخ ثانية ، ولكنه مازال فى البداية وقد تصبح الأمور أسهل مع الوقت

، فكركم شخصاً أحمق فى هذا العالم سوف يوافق على أن يعيش حياة كما يعيش هو !!!

(١٥)

سمير وسارة

شغلت سارة بال سمير عندما رآها فى فرح أحلام ومرة أخري فى جنازة الأوسطي فريد ، كان يبتسم كلما تذكرها كيف يتعلق بفتاة تعليمها متوسط وجمالها متوسط ولكنه متأكد أنه يريد شيئاً منها ، ولكنه لا يستطيع أن يراها فهي لا تخرج من البيت أبداً .

سمير يفاجئ سامح قائلاً : أريد أن أعرف رأيك فى موضوع زواجي من سارة ؟

يرد سامح ممازحاً : هل تزوجت فتاة اسمها سارة ؟!

سمير : أقصد سارة أختك يا سامح ويجب أن تقول رأيك حتي اطمئن وأبلغ أبي .

سامح : أبوك له فضل كبير علي ، وسوف أوافق من أجله هو .

سمير : هناك موضوع أخر كنت أخفيته عنك ؟

سامح ضاحكاً : أبوك يريد أن يتزوج من أمي ، أليس كذلك ؟

سمير : أنا أتكلم بجدية يا سامح ولا وقت للمزاح الآن ، لقد عملت موظف فى الحكومة .

سامح : وأنا أيضاً ، طلبت أن أقابلك اليوم لأخبرك عن توظيفي فى قرية....

سمير: هل قابلت جمال ثابت ؟

سامح مندهشاً : أنت الموظف الذي نقله جمال ثابت ؟

سمير متكبراً : نقله ؟ هو لا يستطيع أن ينقل ورقة من مكانها . لقد تدخلت المعارف وصداقات أبي لنقلي إلي مكتب بريد بجوار البيت .

سامح : وهل أبوك يحتاج مرتب الحكومة ، أنت تنفق أضعاف هذا المرتب كل شهر.

سمير : والدي يريد إبعادي عن أعماله ويجعلني أشعر بقيمة المال ، لذلك بمكالمة واحدة تم تعيني فى مكتب البريد الذي أنت فيه ثم بمكالمة أخري تم نقلي إلي مكتب البريد بجوار بيتي .

سامح ساخراً : كنت أتمني أن يكون لأبي رحمة الله عليه هذه القدرة على عمل المكالمات التي تسهل الحياة ، هل تعرف يا سمير؟

سمير يهز رأسه أنه مازال منتبهاً بالرغم من غرقه فى التفكير.

سامح : أنا عندما أجلس بجوار النافذة فى القطار وأري الحقول الخضراء وأري الفلاحين يزرعون ويحصدون أتمني أن أكون مثلهم بلا بكالوريوس بلا شهادة ، أزرع وأحصد فقط .

سمير ضاحكاً : جميع الفلاحين الآن حاصلين على البكالوريوس مثلك وبعضهم معه كليات أفضل لكنه لم يجد سوي الأرض كي يستخرج من قلبها رزقه ، أنا أظن أن والدي عنده بعض الحق فى حرصه على المال .

سامح : عنده ألف حق ، هل يمكن أن تعطيني والدك عام أو عامين حتي استطيع أن اتزوج أنا أيضاً !!

سمير : هذه المرة الأولي التي تتحدث فيها عن رغبتك فى الزواج !!!

سامح : لقد رأيت فتاة .

سمير : فتاة !! أين ومتي ؟ أنا أحذرك أن تكون احدي بنات جمال ثابت !

سامح : أنا لا أعرفها .

سمير : هل تملك أية أموال ؟

سامح : لا شيء ، أنت تعرف مرتبي من المطعم كان يسترنا بالكاد .

سمير : انسي موضوع الزواج إذن .

سامح مبتسماً : زواجك من سارة ؟

سمير ضاحكاً : لا ..... انسي أن تتزوج أنت ... علمت أن هناك تجارب على استنساخ البشر قد تكون هذه التجارب بديلاً جيداً لك .

انتهت حفل الخطوبة الصغير فى منزل الأوسطي فريد ورحلت أحلام وزوجها وحماها وأهل سمير جميعهم رحلوا ، وتركوا سمير مع خطيبته فى منزل الأوسطى فريد سند ، هذه أول مرة يجلس سمير مع سارة فى

الصالة وكانت تجلس معهم عبير الأخت الصغري والأم فى المطبخ تعد العشاء وذهب سامح ليعيد أدوات الحفل وما استعروه من أثاث .

سمير : لا يمكن أن أصف لك يا سارة كم أنا سعيد اليوم !!

سارة بحياء : وأنا أيضاً ولكني ما يحيرني هو اختيارك لي ، لماذا اخترتني أنا؟

سمير مبتسماً : كيف لا تعرفين السبب !!

سارة : أخاف أن أتكلم فتستاء وتغضب مني ؟

سمير : لا يمكن أن أستاء منك أبداً ، قلي ما تريدين ...

سارة : الجميع يعلم أن أبي رحمة الله عليه كان (مترددة) ..... يحب أن يكنز المال والجميع تخيل أن لديه الكثير من المال المخبأ لذا طرق بابنا الكثير من الخطاب فهل أنت واحد من هؤلاء ؟

سمير : هل تعتقدين أنت أني طامع فيما قد يكون عندكم ؟

سارة : لا .... ولكن لم أفهم ، ما الذي يعجبك في ؟

سمير : جمالك وعقلك وكل شيء .

سارة متحذلقة : اياك أن تعتقد أننا نحي فى نفس الزمن ، أنا أعيش فى الماضي ، أعيش فى عالم الروايات والأفلام القديمة وأنت تحب كل ما هو حديث فأرجوا أن تتقارب طريقة تفكيرنا وتبدأ تقرأ .

سمير متعجباً : أنا أقرأ !!!

سارة : نعم تقرأ . ألم تقول أنك معجب بعقلي ، سيكون لدينا نفس العقل لو قرأت نفس الكتب التي أقرأها أنا .

سمير : أنا أري أن القراءة لا تزيد ولا تنقص أي شيء ، وليس لها أهمية .

سارة منفعلة : كيف تقول هذا الكلام عن القراءة ، واضح انك سطحي.

سمير : أنا سطحي !!!! أنت اللى معقدة .

تخلع سارة الدبلة والخواتم الذهبية وتضعها على الطاولة ويسود الصمت وتجري عبير بسرعة الى الخارج وتخبر سامح بكل ما حدث وتطلب منه الحضور فوراً

يدخل سامح مبتسماً بسذاجته المعروفة ويري الذهب على الطاولة ويوجه كلامه إلي سارة : أنت يا سارة لا تستحقين رجلاً طيب مثل سمير .

سارة : أنه لا يقرأ ويقول أن القراءة ليست مهمة ...

سامح : وماذا تقرئين أنت ؟

تصمت سارة وتضع وجهها فى الأرض ، يتوجه سامح إلي الطاولة ويعطيها الذهب لـ ترتديه مرة أخري .

ويوجه حديثه إلي سمير قائلاً : إنها تقرأ روايات الجيب رعب وخيال علمي هذا ما تقرأه .

سارة : هذه الروايات تفتح مدارك الانسان على عوالم .....

سامح متهكماً : عوالم خيالية .... خرافية .... ليس لها أي قيمة .

سمير فى خضوع : هذا ما قلته لها ، وأنا لا مانع لدي أن أقرأ رويات الجيب على ألا تتعدي العشرة صفحات .

تبتسم سارة ابتسامة انتصار وترتدي الذهب .

(١٦)

شجار فى مكتب البريد

استسلم سامح لليأس كان يرجوا أن يرها مرة أخري تلك المدرسة حتي يفهم سبب لهفته فى رؤيتها مرة أخر لكنه لم يرها أبداً مرة أخري ، تشاغل بترتيب البريد وتجميع الخطابات وفرزها ، سمع صوت خشن يطرق المكتب بدفتر توفير فى يده ويقول : أريد أن اسحب .

يرفع سامح عينيه فيري جلباب غير مهندم ووجه ممتلئ وأنف طويل تحت هذا الأنف شنب غليظ مثل صوت صاحبه الذي أعاد كلامه : أريد أن أسحب ألف جنيه .

ينظر سامح فى الدفتر فيري الاسم عرفة غطاس فيرد سامح : أريد البطاقة .

عرفة بغلظة : أين البطاقة يا سعاد ؟

تظهر سعاد من خلف تلك الجسد الضخم بوجه وضاء وسيم تحاول أن تكون أنيقة فى ملابس واسعة و شعرها مسترسل على كتفيها ، هي نفسها المدرسة التي اشتاق لرؤيتها.

ينظر إليها سامح ببلاهته المعتادة ويطيل فى تلك النظرة ، مما يغضب عرفة وتظهر على وجهه كل تعابير القسوة والشراسة قائلاً : جري ايه يا أفندي ؟ أنت بتبص فين ؟

سامح : كم المبلغ الذي طلبت سحبه ؟

عرفة صارخاً على مدير المكتب : إيه يا ثابت أفندي أنتو جايبن ده منين ؟

ثابت جالس على مكتبه وعندما يسمع صوت عرفة يفتح الخزانة ويبدأ يجرد محتوياته .

سامح غاضباً : أنت بترفع صوتك ليه ؟

عرفة : أنت هتأكل البت بعينك ... احترم نفسك ... يا أما هعلمك الاحترام .

سامح : أنا موظف حكومي وأنت بتعتدي علي أثناء تأدية وظيفتي .

عرفة : أخرجي يا بت من هنا ، علشان هوريه الاعتداء بيكون ازاي ؟

***** (تم كتابة المعركة باللهجة العامية لتوضيح مدي السوقية والابتذال) ********

يمسك عرفة سامح من ملابسه ويهزه بقوة ثم يدفعه من على كرسيه فيسيل الدماء من أنفه .

يتدخل جمال ثابت ويحاول بكل مجهوده أن يصد بعض ضربات عرفة لكنه يفشل وتعلو أصوات صراخ سامح واستغاثات جمال بالمارة الذين يدخلون المكتب ويبعدون عرفة بالقوة .

يخطو جمال ثابت و سامح فى أبعد مكان فى مكتب البريد عن عرفة الذي أصر أن يُكمل المعاملة التي جاء من أجلها ، يقوم جمال ثابت بإجراء عملية السحب ويعطي المال لعرفة الذي يأخذ المال ويسب ويلعن سامح وجمال ويخرج من المكتب .

جمال : يجب أن نعمل محضر فى نقطة الشرطة ، حتي لا يتجرأ علينا مرة أخري .

سامح : لا داعي .

جمال : هذا أغرب رد فعل توقعته ، كنت أتوقع أن تطلب أن الشرطة ولا تتنازل عن حقك بسهولة .

سامح : لا أريد مشاكل فى هذه البلد .

جمال : لا تكن جبان هكذا ، أنا أعرف عرفة هذا من سنوات طويلة شخص مؤذي سليط اللسان .

سامح : قد يكون هنا مشاكل عند عم عرفة .

جمال ساخراً : عم عرفة !!!

سامح : المسامح كريم وضرباته لم تكن موجعة ، أنا شخص دائماً تسيل الدماء من أنفي بسهولة .

جمال : سأعطيك باقي اليوم اجازة يمكنك اللحاق بقطار الساعة الواحدة ظهراً .

سامح : شكراً لك .

جلس سامح بجوار النافذة فى قطار الساعة الواحدة يفكر ويسأل نفسه : أتراني كنت ضعيفاً أكثر من اللازم أم جباناً أكثر من اللازم ، لماذا لم أدافع عن نفسي ؟ لماذا لم أرد السباب على الأقل ؟

برر سامح موقف عم عرفة بأنه رجل يغار على ابنته مثلما فعل معه عاصم بك .

رغم أنه ضُرب بقوة إلا أنه كان سعيداً برؤيتها مرة أخري لقد تأكد الآن أنه يريدها بكل خلجة من مشاعره وبكل دقة من قلبه .

حاول أن يتذكر اسمها ، كيف ينسي ذلك الاسم ، أنه مثل اسمه واسماء أخويته يبدأ بحرف السين ، لكنه مازال عاجز عن تذكر اسمها ، أنه لن ينسي وجهها أبداً لكن كيف ينسي ذلك الاسم .

أول شيء فى الغد سيسأل جمال ثابت عن اسمها . ثم تذكر فجأة شعرها المسترسل على كتفيها لن ينسي هذا اللون الأسود اللامع وقال لنفسه ، ولابد أن أسأل عن ديانتها ؟ ثم عاد لنفسه كيف لشخص أسمه عرفة أن يكون مسيحي !!

كيف سيتزوج فتاة لها مثل هذا الأب المخيف ماذا سيحدث إذا أغضب ابنته ؟ ، وكيف سيكون هذا الشخص المرعب جد أبنائه وكيف سيقدمه إلي عائلته

نار تشتعل فى عقل سامح وقلبه

في الليل عاد سامح إلي بيته وشفتاه ترتعشان ووجهه أصفر ممصوص وهو يخفي جروحه وملابسه الممزقة عن أمه وشقيقاته .

ودخل إلي غرفته بسرعة وتبعته أمه إنصاف في قلق وبادرته قائلة : ماذا حدث لك يا سامح ؟

يضطر سامح للكذب : تشاجرت في القطار.

إنصاف: مع من ؟

سامح : مع شاب ما .

إنصاف: هل تعرفه ؟ وما سبب هذا الشجار؟ هذه أول مرة يا سامح ؟

سامح : أنا لا أعرفه وأريد أنا انفرد بنفسي يا أمي أريد أن أنام .

خرجت الأم ، ولكن سامح لم ينام في تلك الليلة لم تفارق مخيلته وأبوها عرفة غطاس .

(١٧)

سعاد

بنت وحيدة وسط أربعة أخوان ذكور ، حولها إلي شخصية ولد لا بنت كانت رغم وسامتها عنيفة وشجاعة ، وهي صغيرة عندما كان إخوانها يتشاجرون مع الأولاد الآخرين كانت تشاركهم تلك المعارك فتضرب وتُضرب ، وكانت شخصيتها تذوب وسط إخوانها الأربعة ، وعندما دخلت المدرسة أرادت فرض إرادتها على زميلاتها فابتعدن عنها وصارت وحيدة وقوية . ووفرت لها الوحدة وبعض من الذكاء النجاح فى دراستها والالتحاق بكلية التربية .

وعندما دخلت الجامعة تغيرت بطريقة كبيرة جداً ، سحبت أمها وأبوها الحرية منها فليس من حقها أن تخرج أو تزور أي صديقة لها فى الجامعة ، وليس من حقها التحدث إلا مع زميلاتها الفتيات ، وعليها أن تذاكر جيداً لأن عرفة وأخواتها الأربعة يكدحون فى حقول الناس من أجل توفير نفقات دراستها .

لكن ظلت الشائعات عنها وعن عائلتها المحبة للسيطرة والشجار لم تفارقها ، كان الناس بعد أن تم تعينها فى المدرسة الابتدائية فى القرية

يفسرون كل كلمة تقولها أنها دعوة للشجار فيتراجع المتحدث أو المتحدثة أمام سعاد

أحد أخوتها : لابد أن تغطي رأسك بطرحة

الأم : أختك صارت فى الثلاثين ولم تتزوج بعد ولن ترتدي طرحة أو حجاب إلا بعد الزواج .

سعاد بغضب : عدد السنوات ليس لها معني ليس لها قيمة ولا تدل على أي شيء .

عرفة : بل تدل علي أنك قبيحة ولن تتزوجين أبداً .

سعاد : لن أتزوج لأنك أبي وهؤلاء أخواتي .

عرفة فى غباء وغضب : ماذا تقصدين يا بنت ..... ؟

سعاد مرتعبة : لا أقصد شيء .

تهرع سعاد إلي غرفتها وتفكر في موظف البريد المضروب وهو يضرب عيناه متعلقة بوجهها وعيناه ترفض أن تفارق وجهها في غباء بالرغم من صياح وغضب أبوها لكن عيونه مفتوحة لم يغلقها أو يوجها في اتجاه أخر بالرغم من الضربات والدماء التي سالت منه .

ليست المرة الأولي التي يقاتل من أجلها أبوها أو أحد من أخوانها ولكنها المرة الأولي التي يصر أي شخص على التمسك بنظرته إليها ، كل المتلصصين بمجرد رؤيتهم لأبوها أو أحد أخوانها يهربون من وجهها

مستقبلين الضربات ومحاولين الدفاع عن أنفسهم ما عدا هذا الشاب الأحمق .

كانت مصادفة غريبة جداً أن تري سامح يسلم ساعي البريد كيس ضخم ممتلئ بالخطابات أمام المدرسة الابتدائية ويوبخه قائلاً : هذه أخر مرة أحمل إليك الخطابات خارج المكتب يجب أن تأتي إلي المكتب وتقوم بعملك .

يهز ساعي البريد رأسه ويلوي شفتيه بقرف ويذهب بعيداً عن سامح الذي احمر وجهه غضباً ، وازداد هذا الاحمرار أكثر عندما رآها تقف خلفه مباشرة .

بادرته قائلة : أنا آسفة يا أستاذ عما فعله والدي معك .

سامح : أنا لا أصدق أذناي !! هل أنا أسمع صوتك الآن !! هل أنا أراك الآن !!

تبتسم سعاد في حياء : أنت شخص مجامل يا أستاذ ...

سامح : اسمي سامح ، وأنا موظف في مكتب البريد حاصل على بكالوريوس تجارة واتقاضي ٣٥٠ جنيه راتب و .....

سعاد : أنا مضطرة أن أذهب الآن يا أستاذ سامح .

سامح : أنت أفضل ما حدث لي في حياتي يا سعاد .

سعاد : بالرغم من الضرب !!

سامح : أنا مستعد أن أُضرب وأُقتل لو كان هذا مقابل لرؤيتك فهو ثمن بخس يا سعاد .

سعاد : كيف عرفت اسمي ؟

سامح : لقد سألت عليك و .....

سعاد : أنا مضطرة أن أذهب إلي المدرسة الآن .

همس سامح وأنفاسه تتلاحق : ولكني اتمني أن أرك مرة أخري .

سعاد في خجل : وأنا أيضاً ولكن ....

تنظر إليه نظرة أخيرة وتذهب مسرعة وتختفي داخل المدرسة وقد سيطر على تفكيرها سامح .

(١٨)

سامح في بيت سعاد

كانت رؤية عرفة ونظراته القاسية التي تتطاير منها الشرر تثير في قلب سامح الرعب ، بالرغم من أن سعاد لها نفس العيون الواسعة الخضراء ولكنها ليست لها نفس نظرات أبيها الشريرة ، كانت عيونها الخضراء الرقيقة والبشرة البيضاء المغطاة بنمش خفيف السبب في أن يخطوا تلك الخطوات نحو باب بيت عرفة أكثر من مرة ولكنها دائماً يعود دون أن يطرق بابهم ، صورة عرفة المروعة المخيفة لا تفارق عقله ، فكيف له أن يتصور الجلوس معه وطلب يد ابنته !! كان يشعر بقشعريرة وهلع عندما يتذكر يده الضخمة وهي تنهال على وجهه وجسده بالصفعات ، ولكنه استبعد ردة الفعل تلك ، لن يجرؤ الرجل على ضربه أو إهانته وهو في بيته .

سامح يكره كسله وحذره وضعفه وتردده ، تردده هذه المرة تتوقف عليه نتائج حاسمة وخسارة سعاد خسارة لا يستطيع تعويضها .

استجمع كامل شجاعته واستحث نفسه وطرق باب سعاد ، الآن لا يوجد سبيل للتردد والخشية .

فتحت الباب سيدة وجهها نحيلاً ، شاحباً ، قد بدت حول عينيها من تجاعيد الزمن و الإرهاق والذبول ما دفع سامح للظن بأنها زوجة عرفة التي تحملت هذا الفظ القاسي لابد أن تكون بهذه الهيئة .

سامح : مساء الخير أنا سامح فريد .

أم سعاد : مساء الخير ، ماذا تريد ؟

سامح : أريد مقابلة عمي عرفة غطاس .

أم سعاد : عمك من ؟

قبل أن يجيب يخرج عرفة إلي الباب ويدعوا سامح للدخول قائلاً لزوجته : هذا ساعي البريد .

سامح مصححاً : أنا محاسب في البريد .

يشير عرفة إلي أحد الكراسي في الصالة قائلاً : لا يهم ، تفضل بالدخول يجب أن أعوضك عن ضربك .

يجلس سامح على الكرسي الذي أشار إليه عرفة وتحركت عيونه في المنزل وقد أُصيب بخيبة أمل عندما لاحظ أن البيت من الخارج نظيف وبه بعض مظاهر الفخامة والاتساع ولكن في الداخل متواضع أقرب إلي الرثاثة والفوضي .

أعقاب سجائر في كل مكان وزجاجات بيرة فارغة وملابس رجالية من كل الأذواق معلقة على مرآة مشروخة مثبته في الحائط جلابيب وقمصان وبناطيل وحتي ملابس داخلية رجالية .

يرفع عرفة تلك الملابس قائلاً : هذا هو العيب الأساسي في إنجاب الذكور.

سامح : ربنا يهديهم .

عرفة متهكماً : وحضرتك هنا اليوم من أجل أن تدعوا لنا .

سامح متردداً : أنا هنا من أجل .....

عرفة : من أجل ماذا ؟

سامح : أريد الزواج من ابنتك سعاد .

عرفة مبتسماَ : كنت أعرف أنك سوف تأتي .

سامح : اذن أنت موافق .

عرفة : وهل يستطيع ساعي بريد أن يلبي طلباتنا ؟

سامح : أنا محاسب ولست ساعي بريد .

عرفة : لا يهم ، يجب أن تعرف أنها ابنتي الوحيدة وتقوم على خدمتي أنا وإخوانها الأربعة وأمها كما رأيتها مريضة لا تقوي علي شيء .

سامح : يمكن أن نتزوج ونعيش معكم في بيتكم .

عرفة غاضباً : هل أنت مجنون أم تريد أن تُضرب مرة أخري ؟

سامح : أنا أسف ....

عرفة : يجب أن تسألني عن طالباتنا ؟

سامح : ما هي طلباتكم ؟

عرفة : بعد الزواج لابد أن تأتي سعاد كل أسبوع لتنظيف هذا البيت وخدمتنا و...

سامح : وأنا موافق .

عرفة : واضح أنك أحمق ، انتظر حتي تسمع الطلبات .

سامح : كلي أذان مصغية .

عرفة : شقة تمليك بعيداً عن أهلك لو عندك أهل ، حجرة نوم وسفرة وصالون والأجهزة الكهربية وذهب بعشرين ألف جنيه ، أنا لا أحب أن يقول عني الناس أني طماع أو انتهازي .

يصمت سامح ولا يعرف ماذا يقول ؟

عرفة : لماذا أنت صامت ؟

سامح : ما تريد مني أن أقول ؟

عرفة : واضح أنك أحمق وغبي ، لقد سمعت طلباتي متي تقوم بتحقيقها؟

سامح : عندما أجد المصباح السحري .

وقف عرفة غاضباً وقد أمسك سامح من رقبته وجره نحو الباب : لو لم تكن ضيفاً لكان لي معك تصرف أخر.

انصرف سامح ووصل بيته مع أذان الفجر ، كانت أمه إنصاف هي الوحيدة المستيقظة لصلاة الفجر استغربت عودته في هذا الوقت قائلة : لماذا تأخرت هكذا يا سامح ؟

سامح : تأخرت عن القطار يا أمي .

إنصاف : ولماذا تأخرت عن القطار؟

سامح في تردد : ذهبت إلي ....

إنصاف : إلي أين ؟

سامح : لخطوبة إحداهن ؟

إنصاف : أنا لا أفهم شيء .

سامح : كنت أريد أن أخطب ولكن أبوها طردني .

إنصاف : أنت تستحق أن تطرد ، يجب أن تفكر في زواج أختك أولاً ، لقد جعلنا منك شخص أناني لا يفكر إلا في نفسه .

سامح : سمعت ورأيت اليوم ما يكفي وأريد أن أنام .

(١٩)

سامح المطعم من جديد

كان عاصم بك رجل كريم وطيب جداً مع سامح فقد ارتضي بأن يعود للعمل في المطبخ لمدة أربع ساعات كل يوم بعد عودته من العمل في مكتب البريد ، كانت مرتب سامح من هذه الساعات الأربع ضعف مرتب البريد طوال اليوم .

التقي عاصم بك بسامح أمام باب المطعم بعد انتهاء العمل وعرض عليه أن يوصله إلي المنزل .

عاصم بك : هل تعلم يا سامح لماذا أساعدك في كل مرة تأتي إلي فيها ؟

سامح : لأنك رجل طيب .

عاصم بك : لأنك تشبه ابني ولو قُدر له أن يعيش لكان يشبهك كثيراً .

سامح : ولماذا لم تتزوج بعد هذه الحادثة يا عاصم بك ؟

عاصم بك : حكمت على نفسي بعدم الزواج وأشعر بأنني سعيد أكثر مني لو تزوجت فتاة بوجهي وجسدي المشوه . كل يوم أذرف الدموع على زوجتي وأطفالي ولا يمكن أن يحل أحد مكانهم في حياتي لا يوجد شيء في الحياة أقدس من الوفاء .

يسود الصمت للحظات يفكر خلالها سامح وبعد تردد يقول : أريد منك طلباً يا عاصم بك ؟

عاصم بك مبتسماً: طلباتك لا تنتهي ؟

سامح : أريد أن أصبح ويتر (مقدم للطعام) .

عاصم بك : للأسف ،الأربع ساعات التي تأتي فيها إلي المطعم ليست كافية لأداء هذه الوظيفة .

سامح حزيناً : المطبخ يتطلب مجهود مضني وأنا أشعر بأني لن استطيع الاستمرار.

عاصم بك مبتسماً: هل تعلم أسوء شيء سيحدث عندما تصبح أنت ويتر .... أني سأصبح مضطر أن أتناول طعامي وشرابي وأري وجهك كل يوم .... أنا موافق .

ينزل سامح من سيارة عاصم بك أمام بيته وقد امتلأ صدره ببعض الأمل فقد كان مجهوداً كبيراً على سامح عملين في نفس اليوم وعندما كان يعود إلي البيت كان يظل صامتاً مكتئباً وكانت أمه وأخوته يلاحظون صمته وتعبه .

سارة : لقد تغيرت كثيراً يا سامح !!

سامح : كلنا تعيرنا يا سارة ، لقد حطمتنا الحياة .

سارة : كيف تتحمل كل هذا المجهود الشاق يا أخي كل يوم ؟

سامح : هل تتذكرين عندما تركناك وذهبنا إلي الإسكندرية ؟ هذا صنع في قلبي جرح نافذ دامي لم ولن أنساه ما حييت .

سارة : أنا أيضاً كل ما تذكرت أبي تذكرت هذا الموقف ولا استطيع الدعاء له بالرحمة .

سامح : رحمة الله عليه كان يحبني كثيراً ، إن عاصم بك يذكرني به ، فبالرغم من تصرفاتي الحمقاء إلا أنه دائماً يسامحني .

سارة : أنا أعرف أن موضوع جهازي أثقل كاهلك ، لو كان أبوك أرسل لنا الأموال التي كان يكسبها كل شهر مثل كل المغتربين لما تعذبت أنت الآن .

سامح : أنا أدفع مقابل تدليله لي .

تتدخل الأم لتنقذ الأب من اللعنات التي بدأت تنزل عليه من أبنائه .

إنصاف : أنت يا سامح الشخص الوحيد الذي يمكن أن نعتمد عليه أنا وأخواتك وحتي بنات خالتك أنت الرجل الوحيد لذلك لم نكن قساة معك ولم ندللك كثيراً كما تعتقدون فنحن كنا فقراء ولو كنا نملك أكثر لكنت مدللاً أكثر.

(٢٠)

فرصة

انهمك سامح في عمله في مكتب البريد وإذا بمحمد ثابت يطلب منه أن يذهب إلي محطة القطار ليقابل شخص عزيز عليه ، سأله سامح : من هذا الشخص .

محمد ثابت : أنا لا أدري ، جاء اتصال في الصباح وكان صوت رجل لم اسمعه من قبل قال لي أنه يعرفك حق المعرفة ويريد أن يراك عند محطة القطار ، فقلت له لماذا لا تأتي وتتحدث معه في المكتب فقال لي ، لا استطيع ، وأنا لدي فرصة ذهبية أريد أن اعرضها على سامح .

سامح : فرصة .... هذا شخص يسخر منا بالتأكيد .

محمد ثابت : هذا ما قلت له ... فقال أنه يعرفك ويعرفك أخواتك أحلام وسارة وعبير وأمك انصاف .

عندها تغير وجه سامح وتأكد أن هذا الشخص بالتأكيد يعرفه .

ذهب سامح إلي محطة القطار في انتظار القطار القادم ولكن هذا الوقت لم تكن هناك أية قطارات ، مشي بين الأرصفة ،وإذا بصبي من الباعة الجائلين يسأله : هل أنت الاستاذ سامح ؟

يهز سامح رأسه بالإيجاب ، فيطلب الفتي من سامح أن يتبعه إلي خارج المحطة .

سيارة حديثة عليها أرقام جمرك سفاجا تقف أمام محطة القطار، في الأمام يجلس سائق عندما يراه مع الصبي ينزل من السيارة ويعطي الصبي مائة جنيه ، حدق سامح في الورقة جيداً . وتعلقت عيناه بالصبي الذي أخذ المال وجري .

طلب السائق أن يركب بجوار سيده الذي يجلس في الخلف ، سأله سامح من أنتم ؟

فرد عليه السائق : هل تملك شيئاً حتي نختطفك؟ اركب ولا تخف .

ركب سامح بجوار شاب في نفس عمر سامح يرتدي بنطلون جينز وتيشرت ملون وكاب على رأسه ، عندما تكلم الشاب عرف من لهجته أنه من دولة عربية وغالباً خليجية . تحركت السيارة ببطء نحو الحقول .

الشاب العربي : كيف حالك يا أستاذ سامح .

سامح بقلق : الحمد لله بخير. من أنتم وماذا تريدون ؟

الشاب العربي : أنا فرصة العمر التي لن تأتي إلا مرة واحدة فقط .

سامح بفرح : هل أنت من مكتب السفريات التي قدمت فيه الأسبوع الماضي .

الشاب العربي : لو تريد أن تسافر أي مكان في العالم استطيع ذلك ، أي شي تريده أنا استطيع أن أحققه لك .

سامح بقلق : هل هذا نوع من المزاح ؟

الشاب العربي : حتي تطمئن ... أبي رحمة الله عليه كان صديق والدك الأسطي فريد رحمة الله عليه .

سامح : هل أنت من العراق ؟

الشاب العربي : ليس بالضرورة أن تعرف عني . يكفي أن أهبك ما تريد .

سامح : هل وجدتم أموال أبي .

الشاب العربي : في تقديرك كم كانت تبلغ ثروة أبوك .

سامح : أكثير من مائة ألف جنية .

الشباب العربي : سأعطيك عشرة أضعاف هذا المبلغ .

سامح : وما المقابل ؟

أمر الشاب العربي السائق أن يوقف السيارة وترجل سامح ومعه الشاب العربي منها أمام احد الحقول وتركا السائق في السيارة حتي لا يطلع على خبرهم أحد .

الشاب العربي : أنا لدي حق عندكم هنا في مصر وأريدك أن تساعدني في أخذه .

سامح في دهشة : أي حق .

الشاب العربي : لقد قتل عاصم بك أبي وأمي وجعل مني يتيماً لسنوات ، والآن أريد أن تتحقق العدالة ويقتل كما قتل .

سامح : لكنه عاني أكثر من أي شخص كان معه في البالون ، حُرقت أسرته وماتوا أمام عينيه وهو أيضاً طالته النيران ويعيش مشوه .

الشاب العربي : ولكنه حي ويجب أن يموت كما ماتوا ، وأنا اخترتك لكي قوم بهذه المهمة .

سامح بذكاء فطري : اخترتني لأني أنا من أقدم له طعامه وشرابه .

الشاب : أظن أن مليون جنيه ستحل كل مشاكلك أمامك يومين لتقرر ، و إن رفضت سأجد شخص أخر ربما بمبلغ أقل . أظن أنك تستطيع العودة من هنا وحدك ليس من مصلحتنا أن نُري سوياً .

يركب الشاب العربي السيارة ويأمر السائق فينطلق تاركاً سامح وسط الحقول ، ترمقه نظرات الفلاحين لا يميز وجوههم ، وصوت واحد قادم ينادي عليه من بعيد : أستاذ سامح ..... سامح .

إنه أخر شخص تمني رؤيته في هذا الوقت إنه عرفة غطاس ، هو لا يريد أن يتحدث مع أي إنسان وخصوصاً هذا الإنسان .

عرفة غطاس من بعيد : انتظر يا سامح حتي اقترب منك .

عندما اقترب منه : ما الذي اتي بك إلي هذا المكان البعيد عن البلدة ومن صاحب هذه السيارة الفارهة ؟

سامح لا يرد .

عرفة غطاس : جئت لكي تخطب البنت ، وطلبت منك طلبات لماذا لم تعود بعدها ؟

سامح : لأني لا أمك ما طلبته مني .

عرفة غطاس : ولكن صديقك هذا لديه الكثير من المال .

سامح بغضب ونفاذ صبر : ليس صديقي .

يرن موبيل عرفة غطاس ويترك سامح ويذهب بسرعة .

(٢١)

الحيرة

في هذا الصباح ، فضل سامح عدم الذهاب إلي مكتب البريد وقرر أن يبقي في البيت ، إنه يشعر أنه خائف من كي شيء وكل صوت كيف سيتحمل ركوب القطار ثم التعامل مع الجمهور في المكتب ، ثم يندم على عدم عودته لأن عقله وقلقه يعذبانه في وحدته ، خرج ليجس مع أمه وأخواته يشاهدون فيلم في التليفزيون بادرت عبير قائلة : ألم يأن أن نغير هذا التليفزيون يا سامح نريد أن نري الألوان .

سامح : الألوان غالية جداً يا أختاه أغلي مما نستطيع نحن دفعه .

إنصاف : لقد عشتُ معك يا سامح بما فيه الكفاية كي أدرك أنك تفكر في شر ، لك نفسك عيون أبوك حينما يفكر في شر يظهر على وجهه .

سامح : إلي هذه الدرجة نحن فاشلون في المراوغة إلي هذه الدرجة نحن أغبياء .

تأمر إنصاف البنات أن يدخلن إلي الغرفة وتهمس إلي سامح : ماذا بك ؟

سامح : أنا لا استطيع أن أشترك معك في هذا السر يا أمي ، مع أني أعرف أنه ليس من العدل أن أحرمك من مشاركتك الاختيار فهذا الأمر يخصنا كلنا مستقبلنا كلنا .

إنصاف : انك تشبه أبوك كثيراً ،فوجهك يفصح عما بداخلك ،كان أبوك لا يستطيع إخفاء سر ولكنك تختلف عنه كثيراً بطيبة قلبك وقناعتك ورفضك الشرور التي تُعرض عليك .

سامح : كأنك تقرئين ما يجول في نفسي يا أمي . وكلامك هذا شجعني أن أفصح لك .

سامح هامساً : لقد جاءني أحد الأشخاص وعرض على مليون جينه مقابل أن أقتل عاصم بك .

تخبط الأم على صدرها وتهمس : مليون جنيه ؟!!!

سامح : كيف لي أن أقتل هذا الرجل الذي عطف علي ، كيف أقتله وأنا من يجب أن يدافع عنه .

إنصاف : هل لديك أي فرصة في الحصول على مليون جنيه في حياتك ، هذه فرصة نادرة ولن تتكرر أبداً و عاصم بك كما أخبرتني رجل كبير في العمر ومشوه والموت راحة له .

سامح صارخاً : ماذا تقولين يا أمي ؟ كفي أرجوك .

إنصاف : ما الذي دفعك إلي إخباري هذا الأمر إذن ؟

سامح : عقلي يكاد ينفجر ، عاصم بك ..... مليون جنيه ..... قاتل أخر .... الرجل مقتول في كل الأحوال يا أمي .... وأنا سأقتله بلا ألم سأضع السم في طعامه أو في شرابه .

إنصاف : مثل تلك الأفعال لا يجب أن تفكر فيها على هذا النحو يا ولدي ، إننا في أزمة كبيرة زواج أخواتك وكل ما تربحه ليس كافياً وهذا البيت الذي نسكن فيه تشقق وأوشك على السقوط ، لا يوجد اختيار أمامنا ، فالموت لعاصم بك راحة له وسيحدث في كل الأحوال ولا يجب أن يكون بلا مقابل .

سامح : لم أتوقع منك مثل هذه الكلمات يا أمي .

إنصاف : ما نعيشه يجعل الجريمة أفضل من الحياة بلا أمل وبلا طموح . أنت تعلم أن راتب الحكومة يصرف نصفه على المواصلات ، ونعيش من عملك في المطعم ، فماذا سيحدث لنا لو مات عاصم بك سيغلق المطعم ونجوع ، يجب أن يكون موت عاصم مفيد وخير لنا بدل من أن يكون خسارة .

سامح : أنا لا أعرف ماذا أقول ؟ ولكني متأكد أن الشر لا يمكن أن يتحول إلي خير.

إنصاف : سيتحول هذه المرة ، أنا لدي السم المناسب احدي خالتك حاولت الانتحار به من سنوات وأظن أن تاريخ صلاحيته مدي الحياة .

(٢٢)

القتل

يخبئ سامح السم في جيب البنطلون ويتحسس جيبه كل خمس دقائق ، وينظر بعدها إلي باب المطعم في انتظار دخول عاصم بك من هذا الباب . يعمل اليوم بهمة ونشاط عسي أن يخفي قلقه وخوفه لكن لا أحد يهتم به ولا أحد ينظر اليه كأنه غير موجود.

تأخر كثيراً عاصم بك ، أصبحت الساعة الثانية عشر مساءاً ولم يأتي ، خاف أن يسأل عنه حتي لا تحيط به الشبهات ، وقرر أن ينتظر إلي الغد .

غاب عن مكتب البريد هذا اليوم أيضاً في محاولة ليتمالك أعصابه ، وعلى باب المطعم كانت سيارات الشرطة وعدد من الجنود منتشرون .

خطي خطوات إلي أقرب صندوق زبالة وألقي بالسم فيه ، و رأي أنه يجب أن يكمل يومه بصورة عادية وينكر معرفته بهذا الشاب العربي ، ولكنه تذكر عرفة غطاس هو الشاهد الوحيد على معرفته بهذا الشاب العربي .

استجمع كل شجاعته ودخل إلي المطعم ورسم على وجهه علامات البلاهة .

استقبله مدير المطعم باكياً : لقد قتلوا عاصم بك .... قتلوا الرجل الطيب .

سامح : من قتله ؟

ضابط الشرطة : هذا ما نريد معرفته منك أنت .

بدأت حبات من العرق البارد تنساب من جبينه وأحس كأن جسده كله يرتعش ، أمره شرطي أن يجلس على أحد الكراسي بعد أن لاحظ الارتباك والرعشة التي تعلوا جسده .

الشرطي : ما اسمك ؟ وما عمرك ؟ وما هي علاقتك بالقتيل ؟

أجاب سامح على كل الأسئلة ، وعندما سأله الضابط عن سر ارتباكه أجابه بأن سر ارتباكه هو حبه الشديد لـ عاصم بك فقد كان شخص طيب لا يستحق أن يقتل أبداً .

سأل ضابط الشرطة كل الموجدين في المطعم ثم انصرف ، بعد أيام علم سامح من مدير المطعم بأن عاصم بك أثناء ركوبه سيارته تفاجأ بشخص مختبئ في الكرسي الخلفي للسيارة قام بقطع رأسه بطريقة وحشية وتركه وهرب .

شعر سامح بسعادة غامرة عندما لم يقتل عاصم بك ،وقال أن هذه نهاية سعيدة ليوم غاية في الصعوبة أخيراً ارتخت أعصابه التي ظلت مشدودة طوال اليوم واستلقي على سريره بملابسه،و حاول أن يغمض

عينيه وينام ولكنه لم ينم لأنه سمع طرق خفيف على الباب ، كان يعلم جيداً أنها أمه تريد أن تعرف

إنصاف : ماذا فعلت ؟

سامح : لقد قتل الرجل الطيب يا أمي .

إنصاف : و متي ستقبض المليون جنيه ، أنت غبي لماذا لم تأخذ نصف المبلغ مقدماً .

سامح : سيذهب هذا المبلغ إلي مجرم أخر غيري .

إنصاف : ضاعت كل شيء الآن يا ولدي . وستغلق الحكومة المطعم لأن عاصم بك ليس له ورثة .

سامح : ولكني لم أقتل وهذا كافي جداً بالنسبة إلي ، هذا سيريح ضميري .

إنصاف : ضميرك سيكون مرتاح بدون جهاز أختك ، ضميرك سيكون مرتاح وأنت السنوات تأخذ عمرك دون أن تتزوج تلك الفتاة ، ضميرك مرتاح ونحن نعاني الجوع كل يوم . اللعنة على ضميرك .

سامح : يكفي أني لم أقتل هذا الرجل الطيب .

إنصاف : لكنه مات في كل الأحوال ، وغداً سوف تتحسر عندما تري الوجه القاسي للدنيا بدون راتب المطعم ، وبدون دعم عاصم بك ومساعدته ، ستتحسر عندما ترها تزف إلي غيرك ، ستتحسر عندما تفسخ خطوبة أختك ، ستتحسر كل يوم على فرصتك الأخيرة في أن تحيا حياة طيبة .

سامح : الحياة الطيبة مع الندم والألم ليست حياة ، سوف أري الدماء تلطخ يدي كل يوم مهما غسلتها ، كيف سأعيش بعد أن أقتل ، فكل قاتل لابد وأن يقتل .

إنصاف : هذا خطأي أنا لقد ربيت جبان كسول .

تخرج إنصاف وتغلق الباب بشدة ، يغلق سامح عينيه ويغط في نوم عميق .

(٢٣)

سامح يتزوج

في اليوم التالي شعر سامح بموجة من اليأس تجتاح كيانه ، وعاد يضغط على أعصابه حتي لا يبدو شيء مما في نفسه ، كان المواطنين يزدحمون على المكتب في هذا اليوم أكثر من أي يوم أخر لأنه يوم استلام المعاش .

كان لأول مرة يشعر بالضيق من طلبات المواطنين وإلحاح بعضهم فكان يرد بكلمات مقتضبة وعبارات مختصرة أثارت غضب معظم المواطنين الذين اشتكوه لمحمد ثابت الذي بدأ في توبيخه .

محمد ثابت : أراك اليوم تتصرف بتعالي وكبر يا سامح .

سامح : أنا أسف يا أستاذ محمد ولكن موت عاصم بك أثر على أعصابي جداً .

محمد ثابت : لو لم يكن اليوم يوم معاشات لسمحت لك بنصف يوم إجازة ولكن الضغط شديد .

سامح : أنا أعرف .

انتظر سامح أن ينتهي هذا اليوم بفارغ الصبر ، وكان يأمل أن يرها بالصدفة كي يتبدل الحزن إلي فرح واليأس إلي أمل ، مازال يحبها ولم ولن يستطيع أن ينسها .

بعد أن انتهي من عمله في المكتب توجه إلي الشارع المؤدي إلي محطة القطار وإذا به يراهم كلهم المعلم عرفة غطاس وأبنائه وفى أيديهم أسلحتهم البيضاء وقادمين نحوه ، فكر أن يجري ، فكر أن يهرب ، فكر أن يستغيث بالمارة ، ولكن كرامته أبت عليه .

حاصروه من كل جانب ، وأمسكه عرفه بنفس الطريقة التي أمسكه بها في مكتب البريد لكن في هذه المرة بادره قائلاً : لماذا لم تأتي لتكمل مراسم الزفاف أم تأتي لخطبة ابنتي ؟

سامح هامساً : ليس لدي أي مال يا عم عرفة .

عرفة صائحاً بصوته : أنت موظف محترم ونحن نشتري رجل يا أستاذ سامح . سوف ننتظرك غداً أنت وعائلتك الساعة الرابعة عصراً كي نقرأ الفاتحة .

سامح مستغرباً : فاتحة ؟

عرفة : وبعدها بأسبوع الزواج إن شاء الله .

سامح مرتعباً : لكن ... لكن ....

عرفة : أنا عندي بيت صغير لن احتاجه الآن يمكنكم الزواج فيه .

سامح متململاً : والأثاث ؟

عرفة : هذا هدية مني لك تعويضاً عن ضربي لك .

سامح : أنا لا أعرف ماذا أقول ؟

عرفة : أحضر أهلك غداً حتي نتمم كل شيء .

بالفعل أحضر سامح أمه ولم تكن خطوبة فقط بل تم عقد قرانهم وشهد على العقد محمد ثابت من طرف سامح وشخص أخر من طرف عرفة غطاس وبعدها بأسبوع تم الزفاف في البيت الصغير الذي وعدهم به عرفة غطاس .

(٢٤)

السر

مر عام على الزواج وارتاح سامح من رحلة القطار اليومية ، بل أصبحت رحلة كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع كي يزور أمه وأخواته ، تزوجت سارة وسافرت مع زوجها بلا جهاز وبلا فرح وكأن المكتوب على هذه العائلة عدم إقامة أفراح ، كان أملهم الوحيد في عبير ، وأقسم سامح أنه سوف يقيم لها فرح عظيم .

كانت حياته مع سعاد حياة سعيدة صاخبة ومع أن فترات الصمت بين الأزواج تزداد كلما ازدادت سنوات الزواج ، وهذا ما يصبح عليه المتزوجون مع مرور الوقت إلا هذين الزوجين ، في كل يوم يتعودون على بعضهم أكثر فأكثر فيعود هو من المكتب ويحكي لها وتعود هي من المدرسة وتحكي له ، كانت تحب أن تتكلم معه لم يمنحها أبوها هذا الحق أبداً ، فمارست هذا الحق مع زوجها وكانت تحب فيه روح الفكاهة والاستماع لها .

وكانت الغيرة بينها وبين إنصاف شديدة .

سألته سعاد : ما الفرق بيني وبين أمك ؟

سامح : عندما جاءت بي أمي إلي الدنيا كنت أبكي ، وأنا منذ عرفت وأنا أبكي .

ضحكت سعاد وقالت : أنا أتذكر يوم ضربك أبي عندما كنت تحدق في ، كنت تبكي يومها .

سامح مبتسماً : وأنا مازلت محافظ على عهدي مع أبوكي ولا أنظر إليك حتي بعد الزواج .

يسمع طرقات على الباب ، ويدخل أخ من أخوان سعاد ويخبر سامح أنه يجب أن يأتي إلي منزل عرفة حالاً .

كان سامح يكره الذهاب إلي منزل عرفة ولا يطيق أن يجلس عندهم خمس دقائق فكان يترك سعاد ويستأذن وكانوا يفضلون ذلك لأنها كانت تذهب لتنظف البيت وتساعد أمهما في أعمال المطبخ كل يوم تقريباً ، وكان ظن سامح أن هذا هو سبب تزويجهم لها .

استقبل عرفة على غير عادته على الباب الرئيسي بذراعين مفتوحين وفم مرسوم بابتسامة أربكت وأقلقت سامح كثيراً وقال في صوت مهذب : تفضل يا أستاذ سامح هناك من يريد أن يراك .

عندما دخل سامح أصابته صاعقة ، وشعر بدوار ، وقال في ضعف : من هذا ؟

عرفة : أنا أعرف أنك تعرفه جيداً ، لكن لم ولن تعرف اسمه .

كان سائق سيارة الشاب العربي الذي عرض مليون جنيه لقتل عاصم بك .

السائق : لقد جئت كي اطمئن عليك .

سامح : أنا ليس لي بك أي علاقة .

عرفة : أنا أعرف كل شيء يا سامح فلا تقلق أنت زوج ابنتي وبمثابة ابن لي الآن .

السائق : لا تقلق يا أستاذ سامح أنا أريد أن أتأكد هل وصلك نصيبك ؟

عرفة : طبعاً وصله نصيبه .

سامح : أنا لا أفهم شيء ، أي نصيب .

عرفة : البيت الذي تزوجت فيه والأثاث الجديد ومصاريف الزواج كل هذه الأشياء .

سامح : البيت ليس باسمي والأثاث باسم سعاد أنا لا امتلك أي شيء .

عرفة : وهل فعلت شيء كي تمتلك شيء في مقابله ؟

سامح : لقد جئت أنت إلي وعرضت تزويج ابنتك لي .

عرفة : هذا اعتراف منك ، بأني أنا من تحمل كل مصاريف الزواج .

سامح : نعم اعترف بذلك .

السائق : وهل أنت راض أن يكون هذا نصيبك ؟

سامح : أنا لا أفهم .

عرفة : هل تذكر يوم رأيتك تنزل من تلك العربة الفارهة ، أمرت أبنائي أن يعترضوا طريقها ويحققوا مع صاحبها وبالفعل مع بعض التعذيب البسيط أقر هذا الشاب العربي بسبب مجيئه إلي مصر واتفاقه معك على قتل عاصم بك وعرفت منه كل تفاصيل حياة هذا البك ، وأخذت منه الملايين التي عرضها عليك وأمرت أحد لصوص السيارات أن يفتح سيارة البك واختبيء فيها قاتل محترف قطع الرأس وظلت يداك أنت نظيفة فأنا لا أسمح لابنتي أن تتزوج من قاتل .

السائق : أصر سيدي على أن تأخذ حصتك من الملايين وأرسلني كي أتأكد فقد كان أبو سيدي يرحمه الله يصلح سيارته دائماً عند الأوسطي فريد رحمة الله عليه .

سامح في استسلام : لقد أخذت نصيبي لقد أخذت نصيبي .

يخرج السائق وينطلق بسيارة عادية إلي القاهرة وعندما يختفي عن الأنظار ، ينظر سامح إلي عرفة ويقول : أخذت ملايين ؟

عرفة في عناد : وأنت أخذت سعاد وهي عندي تساوي ملايين الدنيا .

سامح : ومن هذا القاتل الذي حز رأس عاصم بك .

عرفة : شاب صغير فرح جداً عندما أخذ عشرين ألف ، هو في العادة يقتل مقابل عشرة ألاف ، لكن عندما علم أن المقول بك طلب عشرين .

سامح في حسرة : أنت مجرم كيف سأعيش بعد أن عرفت كل هذا .

عرفة : لن تستطيع إعادة الموتي للحياة فلا ينبغي أن نشغل بالنا بالمستحيل وما قد مات فات .

سامح : أفضل أن أكون مع الموتي الذين ينامون نوماً هادئاً على أن يظل عقلي في عذابه .

عرفة : أنت مازلت تبدأ معنا في طريق الشر وما بدأناه من شر يقوي بمزيد من الشر.

***

يستمر سامح موظف في مكتب البريد يروح ويجيء من العمل ويجلس على المكتب ولا يشعر إلا بـ الملل والضجر كان يتمني في كثير من الأحوال أن يكون مكان عاصم بك ولا يعلم هل أخطأ حينما أضاع الفرصة التي جائته أم أننا نعيش في أرض تكافأ الأشرار بالخير ، في النهاية كي يرضي ضميره علق كل مشاكله وأخطأه على القدر على الزمن الصعب .

انتهت

نبذة عن المؤلف

محمد عبدالمنعم بدر

مهندس كهرباء ومؤلف

مصر_ الغربية

الأعمال السابقة:

- **اكتشاف _ رواية _ المكتب العربي للمعارف**
- **حياة بائسة_ رواية_ أوراق للنشر والتوزيع**

الكتروني: مكتبة نور .

- **دليل تدقيق المخططات الكهربية**
- **الخصائص الفنيّة للمولدات.**
- **الأساسيات النظرية في المهرباء.**

safety and earthing design